-آل خورشيد -

سمر رجب

بسم الله الرحمن الرحيم

عامل الحديقة

لا أعلم إلى من ستصل تلك الرسائل.. لربما يتسع لها صندوق قمامتي أو أدفنها تحت الثرى أو ربما يكون مصيرها مثل سجائري؛ تحرق صدري بلا رحمة، رغبت أناملي بالكتابة ليرتاح قلبي من أثقاله.

1920.. منتصف فصل الشتاء، أمام مرآتي المكسورة أجلس وحيدة كما اعتدت، أثرثر لدفاتري المهترئة فلكم كنت عاشقة للكتابة وتدوين الملاحظات اليومية كنت كذلك ، نعم كنت!

Samar ragab

مرّ على تواجدي هنا خمسة أشهر فقط أو على الأحرى منذ أن استعدت وعيي، لا أتذكر شيئاً على الإطلاق، أخبرني خورشيد.. أنّه زوجي وأنّني تعرضت لحادث سير مروّع مكثت على إثره بغيبوبة طويلة كادت أن تفقده الأمل في عودتي للحياة مجدّداً!

قاتلت بكل قوة أمتلكها لكي أتذكر أي شيء قد يقودني لحياتي السابقة لكن هيهات أعود من رحلتي الخائبة داخل عقلي إلا خالية الوفاض دائماً.

أرغب في التحدث عن خورشيد وعائلته قليلاً.. أشعر بحبه لي المتجسد في نظراته المطاردة لظلي أينما ذهبت وكأنّه يخشى أن أتركه مرة أخرى أو يفقدني بأية طريقة بعد ذلك الحادث الذي مررت به مؤخراً، يحدثني دائماً عن حبي المفرط له في السابق، أنا لا أشعر بأي شيء تجاهه الآن، علمت منه أنني كنت كاتبة متميزة لكن لم تظهر كتاباتي للنور بعد، على حد قوله فإنّ أكثر ما يسعدني هو تدوين ما أشعر به على الورق لذلك أحضر لي كل ما يلزم ونصحني بالكتابة على وعد صريح منه بأن ما سأكتبه لن يطلع عليه أحد مهما كان!

أخاف أن أعلن ذلك أمامه"فقري للمشاعر نحوه"، أكتفي فقط بالتحديق به ببلاهة كلّما تطرق لذلك السؤال:
-هل يشعر قلبك بي مجدداً آسيا؟
الصمت يا خورشيد دائماً ما يكون جوابي الذي لم يتغير منذ أن فتحت مقلتاي لأراك بجانبي، مجبرة على التعامل معك مثل الماضي الذي لا أعرف عنه شيئاً إلا من أحاديثك المستمرة عنه!

أما عن والدة خورشيد؛ السيدة ناظلي فهي غريبة الأطوار ؛ نظراتها حادة ثابتة، صوتها بارد وكأنه يأتي من أعماقها خافتاً يثير الرعب بصدري، خطواتها محسوبة منظمة بطريقة عجيبة، تعاملني بفظاظة وتكره ولدها حينما تشعر بحبه لي، لم أكن لأهتم بالأساس بذلك الحب، ليتها تدرك ذلك لتدعني وشأني، شيء غامض بداخلي يشعرني بأن ولدها وحبه غريب عني ولا آلفه مهما حاول!

وعمته الأرملة العجوز فكريّة تلك قصة أخرى وحدها لكنها مرعبة أيضاً، تفضل دائما أن تكون حمرة شفتيها باللون البني القاتم وكحل عينيها الأسود الثقيل مع خطوط التقدم

بالسن الواضحة بشدة في وجهها يعطيانها منظر مهيب يبعث الرعب في النفوس، هي مثلهم باردة الوجه والنظرات، لا تبتسم أبداً، لا تفارق اللون الأسود وكأنه صُنع خصيصاً ليكمل هيئتها المخيفة، تظهر فجأة وتختفي فجأة... وكأنّني أنقصها!

شقيقته الكبرى شمس التي لم يدق بابها أي رجل لتحطم حاجز الأربعين من عمرها دون زواج، عبوسها الدائم جعل خطوط جبهتها تظهر بشكل واضح لمن يراها، خشونة كفيها منفرة جداً، رائحة فمها لا تطاق، طريقتها في تناول الطعام تسبب الغثيان!

تلك الأمور جميعها ليست بالشيء الغريب، إنّما ما ستحمله سطوري القادمة هو الغرابة بعينها!

****

عندما استعدت وعيي، تجولت بمقلتيّ يمنة ويسرة بتفحّص، غرفة ملونةٌ جدرانها الأربع باللون الأسود، رائحة كريهة نتنة تسربت إلى أنفي بعنف جعلتني أفرغ ما في معدتي من سوائل، حاولت أن أنهض، أعاقت حركتي تلك الخراطيم المثبتة بأوردتي، أخرجتها برفق، ترنحت وغلبني الدوار لكنني قاومت، و وددت أن أهرب من تلك الغرفة اللعينة المرعبة فأي مكان بالعالم قد يُلون بتلك الطريقة وحتى الأثاث غريب الهيئة، إحدى الجدران كانت تحتضن مجسم حيوان بقرنين لم أستطع تمييزه حتى الآن، صرخت بأعلى صوتي عندما لاحظت أن ذلك المجسم ينظر لي نظرة غريبة مزعجة، سقطت مغشياً عليّ لأفيق مرة أخرى لكن تلك المرة وجدت نفسي بين أحضان خورشيد ووالدته وعمته وشقيقته والخادمة العجوز يلتفون حول سريري بنصف دائرة، وكلهن يتشحن بالسواد، كان المشهد مخيفاً للغاية، أصابتني نوبة تشنج عصبية من فرط خوفي منهن، حاول خورشيد تهدئتي لكن تفاقم الوضع بأن لفظته بعيداً عني بقوة، اقترب مني مجدداً، دفعته مرة ثانية ليعاود الاقتراب مني بصبر عجيب!

أعطاني إبرة مخدرة لأغوص في بحر النوم العميق من جديد، لم يكل أو يمل يومياً حتى استطاع اقناعي بقصته التي تعبر عن حياة سابقة بيننا يتخللها الحب ورياح السعادة! حاولت أن أخرج من القصر مراراً، لكنه محاط بغابة موحشة لن أستطيع تجاوزها وحدي وكلّما أخبرت خورشيد برغبتي بالخروج كان رده الهادئ المتكرر دائما بأنّنا لم نخرج من القصر يوماً منذ أن انتقلنا إليه!

يا إلهي أكاد أفقد عقلي.. حلقات كثيرة مفقودة بالأمر، لا أفهم الكثير من الأمور، أجدني دائماً مضطرة لقبول ما يقصّه عليّ خورشيد فحسب، أي محاولة مني للتذكر تؤلم رأسي كثيراً فأتراجع عن ذلك، ولا أجد بدّاً في النهاية إلا تصديقه فيما يقول!

تعايشت مع حياتي الجديدة التي لا أملك سواها الآن، وبدأت بالتعرف عليهم عن كثب، بدأت صحتي تتحسن ولم أعد مضطرة لملازمة الفراش، كانت شرفة الغرفة تطل على الحديقة الخلفية للقصر، لاحظت وجود شخص ما يبدو أنه عامل الحديقة، عريض المنكبين، ضخم الجثة، لا يفتح فمه أبداً، ولا يصدر منه أي صوت على الإطلاق، حتى أنّه إذا تحدث أي شخص إليه اكتفى بهز رأسه دون أن يتفوه بحرف واحد، كنت أراقبه وهو يعمل من شرفتي كان وسيلتي الوحيدة للتسلية بذلك المكان المقيت!

تعودت يومياً على الجلوس بشرفتي قبالة ذلك الرجل، كنت جالسة في ليلة مظلمة أراقبه بملل، رأيته يقتل شخص ما ويفصل رأسه عن جسده، صرخت بهتيستريا حتى بُحَ صوتي، ركضت بسرعة رهيبة إلى الأسفل كي أخبر أي أحد بالقصر عن ذلك المجرم، لم أجد أحداً غير طيفي بتلك اللحظة وكأنّما خلا القصر من كل البشر بطريقة غريبة، مثل المجنونة رُحتُ أردّد:
-عامل الحديقة قاتل متوحش فليلحق بي أحدكم.. خورشيد أين أنت؟

صدى صوتي فقط هو ما يجيبني، أين ذهب الجميع؟ كيف تركوني بتلك البساطة؟ قررت أن أذهب إليه وحدي وليحدث ما يحدث فلن أجعله يفلت بفعلته، لم أفكر لحظة بأنّه من الجائز أن يصبح مصيري مثل ذلك القتيل، أنا متهورة بعض الشيء أعترف بذلك!

أثناء ركضي وسرعتي الجنونية اصطدمت بالخادمة ماريا، شعرت أنني أصطدم بحائط قاسي، ملامحها مرعبة رهيبة، رداؤها الدائم الذي يشبه رداء الراهبات وعيناها الحادة كأعين طائر البوم، ذلك الصليب الكبير المتدلي من عنقها، شفتيها الممتدتين إلى الأمام عابستين بصورة دائمة كل ذلك جعلها مخيفة بحق!

ازدردت لعابي برعب قبل أن أخبرها عما رأيته من شرفتي، أصابني التلعثم العديد من المرات لكني أظن أنها استطاعت فهمي في النهاية، نطقت بصوت رخامي:
-لا تتحركي من هنا سأخبر سيدتي ناظلي عن الأمر.

توارت عن أنظاري لبضع دقائق ثم من العدم ظهرت برفقة السيدة ناظلي وكأنّ على رؤوسهم الشياطين كلّما اقتربن مني كلّما تزايدت ضربات قلبي واهتزت ركبتاي من الخوف، كدت افقد السيطرة على مثانتي لأفعل شيء أصبح من العار فعله بعدما أصبحنا كباراً!

بصوتها البارد العميق هتفت السيدة ناظلي متسائلة عما أصابني فأعدت عليها ما رأيته بعيني، أمرتني الذهاب معهما إلى الحديقة ليتبينا صدق حديثي، بحذر شديد وقفت خلفهن أراقب بعيني المرتعدة خوفاً ، ها هو ذلك الرجل وهو يقوم بعمله بشكل عادي كما اعتدته تماماً!

لا أثر لقتل أو ذبح، لا أثر لدماء أو أي شيء يدل على ما رأيته بأم عيني من الأعلى!

لا.. هذا مستحيل أنا رأيته جيداً، أنا واثقة من حديثي، واثقة من سلامة عقلي وعينيّ!

بلغ مني الغضب مبلغه، صرخت بهتيستريا:
-صدقوني.. أنا على يقين تام بما أخبركم به، ذلك الرجل قاتل وحشي، لقد ذبح شخص ما واقتلع رأسه من جسده بمنتهى الوحشية والقسوة.

نظراتهن قاتلة باردة وكأنهن جبال جليدية متحركة، تابعنني وأنا أصرخ خوفاً وفزعاً مما يحدث، رأيت خورشيد يركض تجاهي،حاول لمسي لكي أهدأ لكن ثورتي كانت عارمة، وقلبي لا يتوقف عن عزف أعنف الدقات، هتفت الخادمة بصوتها الرخامي المقيت:
-حتى لو صدقنا ما تتحدثين عنه.. هل برأيك سيتمكن من أن ينظف كل شيء هكذا بهذه السرعة وكأن شيئاً لم يكن؟!

ملأ صوت صراخي الأرجاء، لا أحب الغموض، ولست بمريضة تهيؤات بصرية أو سمعية، أنا بخير، قيدني خورشيد بمساعدة الرجل، دسّ بوريدي إبرة مخدرة لأغيب عن الوعي وأذهب في ثبات عميق لا أعلم مدته، لكن كل ما أعلمه أنني بحاجة للتوضيح!

راقبت العامل ليلاً ونهاراً، يومه طبيعي للغاية ولا شيء خارج عن المألوف، هل جننت حقاً؟ هل خورشيد وعائلته على حق؟

* * * * *

حفل شواء

25 ديسمبر، يوم الأربعاء...

أحضر لي خورشيد اليوم فستان باللون الأسود المنطفئ، فستان كئيب عاري الأكتاف، طويل يمتد إلى أصابع قدمي، ضخم الهيئة، أنا واثقة تماماً بأنني لم أرَ فستان مثله من قبل برغم فقدي لذاكرتي لكن بالطبع لم أرَ مثله من قبل أنا على يقين من ذلك!

اضطررت لارتدائه على مضض، أخبرني بأن الليلة سيجهزون لاحتفال ضخم، يقيمون ذلك الحفل سنوياً لطقوس خاصة بعائلته، لم أهتم بمعرفة التفاصيل وفضلت أن أعايش الحفل بنفس الملل الذي أحياه بين جدران القصر يومياً.

كل ما أعرفه أن الحفل سيكون ضخماً وسيأتي لحضوره جميع أفراد العائلة القريب والبعيد منهم وأنه سيكون هنالك حفل شواء كبير أيضاً، أكره التجمعات.. هل كنت أكرهها أيضاً قبل أن أفقد ذاكرتي؟

samar ragab

ارتديت الفستان، صفّفت شعري بعناية وضعت الحُلي والتي كانت بالمناسبة؛ عقد باللون الفضي يتدلى منه شيئاً يشبه جمجمة الإنسان بطريقة مصغرة، وخاتم كبير على هيئة جمجمة أيضاً، لم أعد أهتم لتلك التفاصيل الصغيرة فما أعايشه هنا يجعل العاقل أجن المجانين!

طرقات خافتة على باب غرفتي من الخارج، طلبت من الطارق الدخول بضيق، انبهار سلبي مخيف عندما أطل خورشيد عليّ برأسه مستأذناً للدخول، كان يشبه الكونت دراكيولا!

شعره مهندم لامع، شفتاه قاتمتا اللون، بذته السوداء التي يتخللها بعض اللون الأحمر ببعض الأماكن، وعباءته التي تتدلى وراءه بطريقة مرعبة، ظلال جفونه السوداء.. كلها مثلما صورت لنا الأساطير عن هيئة الكونت دراكيولا تماماً!

يا إلهي.. لقد أصابني الدوار من فرط الخوف لم أعد أحتمل ما أراه هنا، اقترب مني خورشيد ببطء، تلذذ بهيئتي المرتاعة، قرر أن يرحمني أخيراً بأن أخبرني بأنها حفلة تنكرية لا أكثر ولا داعي للقلق أو الخوف.

برغم ذلك لم أنعم بالراحة، أشعر بشيء غامض سيحدث هذه الليلة.

أمسك بيدي ويده الأخرى وراء ظهره ليصطحبني إلى الأسفل بطريقة فاخرة، أمام أعين جميع الحضور وقبل أن نهبط درجة واحدة، هبط على ركبته ليقبل يدي بتهذيب، شفته باردة وكأنها خرجت لتوها من بين الثلوج، لم أكترث لأي شيء ، كنت بعالمي الخاص الذي مُلِئ مؤخراً بالخوف والرعب فقط عدا عن خوفي الشديد كلما اقتربنا من الحضور، كلهن نساء، يرتدين نفس الفستان بنفس تفاصيله ولونه الأسود، مكياجهن ثقيل قاتم اللون، بشرتهن شاحبة وكأنما الموت قد مر من هنا وهن مجرد أرواح متنقلة بين عالمين!

طاقة سلبية رهيبة تملأ الأرجاء، الموسيقى التي تندلع من مشغل الاسطوانات العتيق كانت غريبة وكأنها تُعزَفْ للجن، لن أستطيع وصفها مهما حاولت.

كلهن ينظرن لي بنفس اللحظة؛ نظرات حادة ثاقبة، تحركت ببطء بخطوات عكسية ونظراتي مثبتة عليهن، اصطدمت بشخص ما، استدرت ببطء والتوتر يأكل داخلي، كانت الخادمة ماريا تنظر لي بأعين حاجظة رافضة لردة فعلي العفوية تجاه ما أرى، همست بصوتها الرخامي:

-إلى أين الذهاب فالحفل لم يبدأ بعد؟! لا يصح أن تغادري الآن وأنتِ سيدته!

لم أفهم ما قالت ولم أبادر لطلب التوضيح، فهل قام أحدهم بتوضيح أي شيء لي من قبل!

اضطررت للمكوث لآخذ وضع المشاهد الذي يقرأ رواية رعب مخيفة للغاية، حان وقت الطقوس:
صراخ من الجميع مع رفع أذرعهن ورأسهن للأعلى بغرابة محملقين في السقف.. ضايقني الصوت كثيراً فوضعت يديّ على أذنيّ في محاولة بائسة في منع أكبر قدر ممكن من تلك الموجات الرهيبة التي تصم الآذان من خلال صراخهن.

اندلعت الموسيقى مرة أخرى لكنها أشد قسوة من ذي قبل، بدأن في الرقص بهيستريا وجنون، حاولت الابتعاد عنهن قدر المستطاع، وقفت في إحدى الزوايا وحيدة خائفة، لاحظت شيئاً غريباً عندما نظرت لقدم إحدى المتواجدات بالحفل؛ قدمها تشبه أقدام الماعز!

اقتربت بحذر لكي أتأكد مما رمقته من بعيد، لم أستطع السيطرة على رجفتي الشديدة، جذبت فستانها ورفعته لأشاهد قدميها، قدميها كأقدام الماعز حقاً.. لم تقبل قربي منها بتلك الطريقة ومن بين صراخي الهيستيري عندما تيقنت مما لاحظته قذفتني بعيداً عنها بقسوة وهي تصرخ بصوت رهيب يشبه زئير الأسد، وقعت أرضاً من شدة ضربتها ورحت أرتعد وأنا مكومة حول نفسي، حاول شخص ما لمسي تقريباً ليقوم بتهدئتي لكن أعصابي لم تكن لتتحمل كل تلك الإثارة دفعة واحدة فغبت عن الوعي.

آسيا...

صوت من الجحيم يناديني باسمي، درت حول نفسي برعب، صرخت متسائلة عن هوية مناديني صاحب الصوت الأجش، لكنه يعيد ندائي فقط ولا شيء سوى ذلك!

حاولت أن أركض هاربة، اتضح لي أنني في غرفة عرضها متر وطولها متر تحيط بي الجدران من كل الاتجاهات، يسود الظلام حولي كل شيء، ضحكات متقطعة يبدو عليها الشر واللؤم تصدح في الأرجاء كل حين.

أصرخ متوسلة تارة وأصرخ متوعدة تارة أخرى، شعرت بأنفاس ساخنة في رقبتي من الخلف، استدرت بكل قوتي لأرى ذلك الوجه الذي لن أنساه ما حييت، إنها تلك المرأة التي كشفت عن ساقيها بالأسفل لكن وجهها أسود مقيت، رائحتها كالقبر، عيناها حمراوتان، تضحك بشر متلذذة من هيئتي المرتعبة!

كان مجرّد كابوس!

استطعت أن استيقظ منه بصعوبة، العرق يتصبب مني بغزارة، أنفاسي سريعة متلاحقة، قلبي يكاد ينخلع من شدة دقاته، نفس المشهد.. خورشيد بجانبي ووالدته، شقيقته، عمته والخادمة يلتففن حول سريري بنصف دائرة!

دسّ بعروقي تلك الإبرة المهدئة اللعينة، صرخت بغضب:
-ليس الآن.. انتظر، تلك السيدة تمتلك ساقين كسيقان الماعز، كلهن كذلك، صدقوني هذه المرة أنا على يقين تام مما أقوله.

قبل أن أغيب عن الوعي بفعل المهدئ، فتحت السيدة ناظلي باب الغرفة لتدلف إلينا السيدة صاحبة سيقان الماعز لترفع فستانها أمامي بكل هدوء لتظهر قدميها بمظهر طبيعي تماماً!

ياللصاعقة! ماذا دهاني يا الله.. كل شيء حولي يدفعني إلى الجنون.
استيقظت بعد ساعات لأجد الخادمة ماريا بانتظاري أمام السرير كالجماد لا تحرك ساكناً، فتحت مقلتيّ ببطء، تسرّب إلى مسامعي صوتها الرخامي وهي تقول بجمود:

-هيا بنا لنهبط إلى الحفل فأفضل جزء به على وشك البدء.

سألتها ببلاهة وأنا أحاول أن أمرر بعض اللعاب لحلقي الجاف:

-وما هو أفضل جزء به؟

نظرت لي شذراً ولم تعطني أي إجابة، اضطررت لأن أمتثل لطلبها لأنني أخاف منها بشدة، هبطت درجات السلم بهدوء وحذر تعقبني ماريا، كانت الردهة خالية، استدرت لأسألها عن السبب فأجابتني قبل أن أكمل سؤالي بنبرتها المعتادة:
-في الفناء!

أي فناء أيتها البغيضة، ليتني أستطيع أن أنقض عليكِ وأوسعك ضرباً حتى يشفى غليلي.

مائدة ضخمة يلتف حولها الكثير، كلهن سيدات أيضاً مثل الداخل لكن تلك المرة ثيابهن مختلفة، كان اللون البنفسجي المعتم سيد الموقف ليلطخ شفاههن ووجنتهن ويظلل جفونهن بكثافة مريعة، تعتلي رؤوسهن قبعات عجيبة الشكل، إنها تشبه قبعات الساحرات تماماً!

اقتربت بحرص، كان على رأس المائدة السيدة ناظلي وخورشيد يقف بجوارها من اليسار وشقيقته شمس من اليمين ومقابلها في الناحية الأخرى العمة فكرية والبقية موزعون حول المائدة، تقدم خورشيد بعض الخطوات ليصحبني، تقدمت معه ببطء ثم وقفت جانبه وقد ضقت ذرعاً من تلك العائلة وغرابتها، رائحة بشعة منفرة هاجمت أنفي بعنف، كان مصدرها ذلك الأسد الميت متعفن الجثة الممدد أمامهم على الطاولة، رغماً عني حملقت فيه بغير تصديق، أقسم أن معدته منتفخة يخرج منها الدود من فتحات صغيرة!

تراجعت بعض الخطوات للخلف، كنت أختنق تدريجياً، حاول خورشيد تقريبي إليه لكنني استمررت بالابتعاد، دفعتني الخادمة ماريا من الخلف لأعود مكاني ثانيةً، وقفت متسمرة غير مستوعبة لما تلتقطه عينايّ، هل ذلك كابوس آخر؟ هل أنا نائمة الآن وتراودني أسوأ الكوابيس وأشرسها؟

رفع الجميع كؤوسهم في الهواء ليشربوا نخب احتفالهم، وما كانت الكؤوس تحتوي إلا على الدماء التي صبغت أسنانهم باللون الأحمر القاني، تعالت ضحكاتهم وزاد المرح بينهم وأنا ما زلت مثلما أنا.. مصدومة متيبسة في مكاني، شرعت السيدة ناظلي بالحديث فقالت بصوتها البارد الذي يصدر من أعماقها:

-تلك الطقوس هي رمز عائلتنا الكبيرة، وكل عام يصبح ذلك اليوم أسطورة رائعة فيما بيننا... لن أطيل عليكم الحديث ولنبدأ في ممارسة الطقس الأخير.

نادت السيدة ناظلي على عامل الحديقة لكي يحمل تلك الجثة العفنة لجعلها وجبة العشاء لليلة، ثم دعت الحضور للالتفاف حول نيران الشوي للتمتع بذلك المشهد اللذيذ!

أفرغت ما في معدتي وكلما حاول أحدهم لمسي صرخت به بعصبية شديدة، في تلك اللحظة تحديداً فكرت في الهروب حالاً، أمسكت بحجر كبير وهددتهم بأن من سيقترب مني سأفقأ عينيه.

ركضت بأقصى سرعتي نحو البوابة الكبيرة التي كانت مفتوحة على مصرعيها على غير عادتها، من المحتمل أن سبب تركها لهم مفتوحة بهذا الشكل هو ذلك الاحتفال النتن!

ركضت نحو الغابة تتسابق قدماي مع الريح، كل الطرق كانت متشابهة، نفس الأشجار تتكرر من جديد، هل هم متشابهون أم أنني لا أستطيع التمييز؟

لا أعلم.. كل ما أعلمه أنني ركضت لفترة طويلة حتى شعرت بالتعب والإرهاق يتمكن من خلايا جسدي، جلست تحت شجرة لكي أستريح وألتقط أنفاسي، داعب النوم جفوني ولم أقدر على مقاومته!

في الصباح استيقظت، أقاوم ذلك الثقل على جفوني بصعوبة، اتضحت أمامي الرؤية أخيراً... اللعنة إنني بغرفتي سوداء اللون من جديد!

صرخت بقوة جلبت خورشيد راكضاً نحوي، هذيت ببعض الكلمات بسرعة:

-حفل.. رقص.. شواء.. الغابة!

حاول تهدئتي وأخبرني بأنني سأكون بخير، إنها فقط أدويتي هي التي تسبب لي تلك الهلاوس الغريبة، لكنه بالطبع مستعد أن يتحملني لآخر قطرة بدمائه فهو يعشقني!

وقعت عيناي على تاريخ اليوم المعلق على الحائط بالصدفة فوجدته 28 من ديسمبر!

ثلاثة أيام سقطت فجأة من عمري مجدداً دون أن أعلم عنهم أي شيء!

*** * * * * * ***

صرخات في القبو

الثانية بعد منتصف الليل... كنت أغطّ في سبات عميق قبل أن استيقظ فزعة من تلك الأصوات التي تصدر بجنون، صرخات لفتاة يبدو أنها تتعذّب في نيران الجحيم!

samar ragab

جلست في سريري خائفة والظلام يحيط بي عدا عن ضوء القمر الخافت الذي يتسرب من شرفة الغرفة، الصراخ في تزايد، لم أشعر بأيّة حركة بالقصر.. كيف لهذا الصراخ الفظيع ألا يوقظهم مثلما أيقظني!

تردّدت كثيراً، هل أنهض لأرى مصدر الصوت فلربما تلك الفتاة تحتاج إلى مساعدة، لكن ما أراه بذلك القصر جعلني أحيد عن تلك الفكرة، تلحّفت بغطائي حتى رأسي قد دثرتها تحته، لكي أحاول أن أتجاهل ذلك الصوت قدر الإمكان، حاولت أن أنام ثانيةً لكن هيهات لهذا الصوت أن يتوقف!

فكلّما تجاهلته يتعالى أكثر وكأنه يعاندني.. بل يناديني!

لم يكن ذلك النداء موجّهاً لي باسمي لكني شعرته كذلك، كانت الفتاة تصرخ بعنف مستغيثة بالفراغ، خطر ببالي شيء جعلني أعتدل من نومي جالسة.. ماذا لو تلك الفتاة تُعذّب مثلي ها هنا؟

لابد أن أسارع لإنقاذها، لكني لا أعلم سبب صراخها لعل السبب شيء خطير وسيحيط بي نفس الخطر إن تدخلت!

بالمناسبة.. بالرغم من أن خورشيد زوجي إلّا أن السيدة ناظلي أخبرتني بأن الطبيب أمره بأن يدعني وحدي في غرفة منفردة حتى أتعافى تماماً لأن ذلك سيساعدني كثيراً!

لم أفهم حكمة الطبيب من ذلك، لكن هكذا أفضل وكأنه يجلس بداخل عقلي ويفعل ما أريد بالضبط.

قرّرت أخيراً أن أقتحم غرف عقلي المظلمة وسبر أغوار مخاوفي بالتوجه لمصدر الصوت بحذر، على أمل كبير مني بأن تلك الفتاة ستحلّ لغز ما يحدث معي!

لا تتساءل عن إصراري العجيب نحو يقيني بأنني لست مجنونة أو متوهمة مثلما يحاولون أن يرسخوا تلك الفكرة داخل عقلي، حدسي يخبرني بأنّ هنالك لغز لابد من التنقيب عن حلول جذرية لفكه!

في النهاية إن كانوا على حق بأنني مجنونة أو فقدت عقلي في الحادث وليس ذاكرتي فقط، سأرتاح إن تيقنت من ذلك لكن هل يعترف المجنون بأنه مجنون!

هناك مقولة تقول بأنّ المجنون إن اعترف بجنونه يكون أعقل العاقلين!

المهم الآن... تحركت ببطء نحو الصوت وانا أمشي على أطراف أصابعي بحرص، فتحت الباب بهدوء شديد وحاولت ألا يصدر صوتاً، الطابق بأكمله مظلم الغرف مغلقة ، ضوء خافت يصدر من مصباح بآخر الممر ... أصبح الصراخ أكثر وضوحاً، توجهتْ خطواتي نحوه بلهفة ورعب، تبيّنت أخيراً أن الصوت يأتي من القبو!

هذا مستحيل! كيف سأهبط إلى هناك وحدي؟ الضوء خافت للغاية عدا عن أن القصر مرعب وحده بدون شيء ، عدت إلى غرفتي مثلما أتيت منها لأحضر مصباحي الزيتي، أشعلته بيديّ المرتجفتين ، ثم ذهبت إلى القبو مرة أخرى، حاولت أن أبث الطمأنينة في قلبي بأن تحدّثت قليلاً إلى ذاتي... هيا آسيا تقدّمي لابد أن تخبركِ تلك الفتاة بأشياء تحرقتِ شوقاً وخوفاً لمعرفة إجابتها.

كان الدرج معتم للغاية، لولا مصباحي لما استطعت رؤية أي شيء ابداً، اقتربت من آخر درجة.. وجدت فتاة مكومة حول نفسها يتدلّى شعرها على وجهها تأنّ بإرهاق شديد، خرج صوتي مرتعشاً عندما سألتها عن حالتها، أجابتني وهي تحاول أن تمدّ يدها نحوي لكي أمسك بها:

-أرجوكِ ساعديني.

ياللهول! كانت تنزف بغزارة حتى أصبحت بقعة الدماء حولها واسعة، ركزت أنظاري عليها أكثر فوجدتها تضع مولودها! إنّها حامل.. ما هذا الهراء من تلك الفتاة ومن أين لها أن تصبح حامل؟

ازدردت لعابي بصعوبة، استجمعت قوتي لاقترب منها وأمد لها يد العون، هتفت بخوف عليها:
-لا تقلقي سأساعدكِ وأخرجكِ من هنا.

رفعتْ رأسها ليتبين لي نصف وجهها من بين خصلات شعرها التي تغطيه، ليتها لم تفعل!

لم أرَ في حياتي مشهداً كهذا وكأنّها الشيطان بذاته، بشعة الوجه، مخيفة للغاية، ظلت تضحك بطريقة مرعبة وهي تصرخ قائلة:

-أَخرجي نفسك أولاً.

صوت ضحكاتها الشريرة كاد أن يوقف قلبي من شدّة الهلع، كل ذلك وأنا متسمّرة مكاني.. هكذا أنا عندما أتعرض لموقف مخيف أتجمد مكاني لبرهة من الوقت وكأنّ الزمان قد توقّف بي، ببطء مميت مدّت يدها لتخرج جنينها من أحشائها بقسوة شديدة، حملته بين يديها المرعبتين لتعطيني إيّاه، كان عبارة عن قط أسود اللون، مفزع الشكل، ينظر لي بحدة، كان هذا يكفيني لكي أتخلص من تيبسي وأنطلق صارخة إلى الأعلى ، وقع المصباح مني فانكسر وانطفأ، أصبح الظلام دامساً مما زاد جرعة الرعب في قلبي، ضحكاتها ومواء القط لم يتوقفا ولو للحظة، تمنّيت أن أموت وقتها لكي يرتاح قلبي من جرعة الفزع المكثفة تلك!

نجحت أخيراً في مغادرة ذلك القبو اللعين، كيف لهم أن يناموا بعمق هكذا، كيف وكل تلك الأصوات توقظ الميت لا النائم!

رُحت أضرب على الأبواب بكل قوتي، لم أفرّق وقتها أي باب أدق، كل ما كنت أريده أن يستيقظ أحدهم لكي ألتمس منه بعض الأمان!

كان أول المستيقظين هي العمة فكرية، أمسكتني من ملابسي لتجرني نحوها بقسوة متوعّدةً إيايّ لأنها تكره المزعجين، دفعتها بقوة وأنا أرتجف، رددتُ كلمات غير منظمة كعادتي عندما أكون خائفة، ظلت تصرخ منادية للخادمة ماريا لكي تأخذني بعيداً عنها قبل أن تقتلني وتستريح من صراخي!

استيقظت السيدة ناظلي أخيراً، توجّهت نحونا ببرودها المعهود، خرج صوتها العميق متسائلا عن سر تلك الجلبة التي تحدث في تلك الساعة المتأخرة من الليل، أجابتها العمة بفظاظة وهي تسبني بأبشع الألفاظ، اقتربت السيدة ناظلي مني لتقول لي بابتسامة باردة:

-ألن نرتاح يوماً من أوهامك يا زوجة ابني؟

يا إلهي ماذا أفعل بتلك العجوز الشمطاء ومثيلتها؟ لم أجد بداً من إيقاظ خورشيد فهو الوحيد الذي يعاملني برفق بينهن!
صرخت باسمه مرات ومرات لأجد أن النتيجة هي مجيء الخادمة ماريّا وشقيقته شمس، حسناً.. لقد اكتملت حفلة الفزع وتجمعن حولي جمعيهنّ إلا من أردت مجيئه , لحظة ! ما هذا؟! ابتعدت عنهن بعض الخطوات ليتبين لي أنهنّ متراصين بنصف دائرة مثلما اعتدت عليهن أمام سريري!

هل هذا وقت النظام والدقة؟ أشعر بالغرابة جداً من تصرفاتهن...

صرخت بهن والخوف قد أحرق الأخضر واليابس بصدري:

-أريد خورشيد... أين خورشيد؟ أريده الآن.

ضاقت الدائرة كثيراً وكلهن يحملن نفس النظرة المخيفة، وكأنهن أشباح لا حياة بهن، ترأست السيدة ناظلي وقفتهن لأجدها أمامي تماماً، كشّرت عن أنيابها لأجد أن أسنانها مثل أسنان الفتاة التي في القبو!

كلهن أسنانهن هكذا! اقتربن مني خطوة بعد خطوة وببطء مميت، شعرت أنهن سينقضون عليّ ليأكلن لحمي، ركضت بأقصى سرعتي متجهة إلى غرفتي لكي أهرب منهن، كانت غرفتي بأول الممر، ركضت وركضت لأصطدم بشيء ما!

لم يكن هذا الشيء إلا تلك الفتاة التي شاهدتها بالقبو، تسمّرت مكاني فلم تعد قدماي تقويان على حملي، أمسكتني من كتفي بكفيها ذات الأظافر الطويلة النتنة، تضحك مثلهنّ بالضبط، هي من الأمام وهن يقتربن من الخلف، أصبحت محاصرة لا سبيل لي للهرب، هاجمتني نوبة عصبية حادة، صرخت بشكل متتالي حتى سقطت مغشيّاً عليّ!

كم أكره ذلك المشهد المتكرّر عندما أفيق لأجدهن في نصف دائرتهن اللعينة وخورشيد يجلس بجواري!

كنّا في صباح اليوم التالي، نظرت إليهن برعب هيستيري، قَبّل خورشيد جبيني ما إن شاهدني أفتح عينيّ، دفعته بعيداً عني فاقترب مجدداً معلّلاً غيابه بأنه كان يقضي بعض الضروريات للقصر، أخبرته بخوف بما فعلت بي عائلته في غيابه، أخبرني بأنّني متعبة وأهذي حقاً، لأن والدته قصّت عليه الأمر عند عودته وكانت حكايتها كالتالي:

- استيقظت يا بني على صراخ زوجتك الهيستيري كعادتها لأجدها تمسك بتلابيب عمتك وتصرخ بها متوعّدة أن تقتلها، حتى أنّني وشمس وماريا لم نستطع أن نخلص عمتك من بين يديها، ظلت تشير لشيء غير موجود وتخبرنا عن وجود روح شريرة تطاردها بالقصر وتلك الروح متلبسة بعمتك.. محض هراءات بالطبع، عمتك قد فزعت من زوجتك بل جميعنا فزعنا ولم نعد نتحمّل!

صرخت بوجهه بنفاذ صبر بأن حديثها كله ليس إلّا أكاذيب ملفّقة، وأنّني لم أفعل أي شيء من هذا، كانت عمته تنظر نحوي بطريقة مستفزّة ونفس ضحكتها وهيئتها البارحة تتجسّد أمامي من جديد!

شعرت أنها ستنقض عليّ لتقتلني فقفزت من سريري فوقها لتقع وأقع فوقها ورُحت أضربها بعنف، جذبني خورشيد بقوة ثم ضربني صفعات ضعيفة متتالية على وجنتيّ كي أستفيق فدفعته صارخةً به بأنّني أكرهه وأريد أن أحصل على الطلاق وأغادر ذلك القصر اللعين بأقرب وقت ممكن.

حان وقت تلك الإبرة اللعينة، أخرجها من جيب سترته وكأنها متواجدة بحوزته طوال الوقت! دسّها بعروقي، لم أقدر على مقاومته فقد خارت قواي ليلاً ونهاراً في مقاومة أولئك الأوغاد!

نمت بعمق لمدة لا أعلمها، استيقظت عندما شعرت بحرارة أنفاس ملتهبة تلتهم رقبتي، نظرت جانبي بتعب لأجد تلك الفتاة صاحبة القبو تنام بجواري وتحاول إيقاظي بلعابها المقرف!

حاولت أن أصرخ لكن قطّها الأسود جثم فوقي ليكتم أنفاسي، حاولت أن أصرخ فباءت جميع محاولاتي بالفشل، سمعت خطوات بالخارج، جاهدت أن يخرج صوتي فنجحت تلك المرة ليدخل خورشيد مسرعاً إلى الغرفة، غضب بشدّة عندما وجدها بجواري!

هو يراها إذاً، لست مجنونة هو غاضب منها بل ينهرها أيضاً، زمجرَت معترضةً على عصبيته عليها، أسرع نحوها لكي يمسك بها ويخرجها من الغرفة.

تحمّست لأنه لن يستطيع الإنكار ككل مرة هو الآن يتحدّث إليها ويجرّها جراً لكي تتركني وشأني!

نهضت من فراشي بثقل لأخرج خلفه و أشاهد ما يحدث أحاول أن أفهم أي شيء يخصّها فوجدت الباب مغلقاً من الخارج!

ضربت عليه بقوة وعنف ليعاود فتحه بعد برهة من الوقت كانت قواي قد خارت بتلك اللحظة، احتضنني برفق، همست متسائلة عن ماهية فتاة القبو ليجيبني إجابة كالصاعقة:
-أي فتاة!

جحظت عيناي من هول الصدمة، جفّ حلقي وأنا أقول له:
-خورشيد ما الذي أصابك؟ من دقائق فقط أنقذتني منها، وأخذتها للخارج وأنت تعنّفها.. ما الذي يحدث أيها اللعين هل تحاول أنت وعائلتك اللعينة أن تدفعوني إلى حافة الجنون؟

زفر بضيق قبل أن يخبرني بأنّه قد ضاق ذرعاً ولم يعد يحتمل جنوني وهلاوسي ولابد من استدعاء الطبيب ليراني مجدّداً ويصف لي علاجاً آخرَ يكون مفيداً لي!

لأعود من نقطة البداية... من منّا على حق.. ما أراه بعيني وأسمعه بأذني أم حديثهم وتصرفاتهم؟

عزمت على مراقبة الأوضاع وأن أعود للقبو الليلة دون أن يشعر بي أحد وسأذهب بقلب شجاع تلك المرة ولن أعود من هناك إلا ومعي إجابات واضحة لما يحدث..

انتظرت حتى نام الجميع، خرجت ببطء وأنا أمشي على أطراف أصابعي، هبطت الدرج بحذر، أنرت الطريق أمامي بمصباحي الجديد.

كانت المفاجأة! المكان عفن للغاية ولا يوجد به أي أثر للحياة إلا للعناكب والحشرات!

لا يوجد فتاة، ولا قط، ولا أي شيء من هذا القبيل.. القبو هادئ تماماً عدا عن صوت بعض الفئران!

* * * * * * *

الطبيب

يسألني خورشيد باستمرار عما إذا كنت مستمرة على تدوين يومياتي أم لا؟ وأجيبه دائماً بالنفي؛ لا أعرف لماذا أجيبه هكذا لكن ثمة شيء ما في قرارة نفسي يحثّني على إيهامه بأنّني

samar nagah

لا أكتب أي شيء كان، بل وأعمل جاهدة على تخبئة أوراقي عنه تحت خزانة ملابسي بعدما أنتهي من الكتابة!

إلحاحه في جعلي أكتب غريب، لا أفهمه! ما الذي سيعود عليه إذا كتبت أم لا؟ في النهاية فليكن أمر أوراقي طي الكتمان مؤقتاً حتى تتضح لي الأمور، هل خوفه عليّ يجعله يلحّ على ذلك كي أشعر بالتحسن مثلما أخبره الطبيب أم هنالك شيء آخر لا أفهمه؟

اليوم موعدي مع الطبيب النفسي لأول مرة منذ تواجدي هنا سأراه عن قرب، كل معلوماتي عنه تكمن في حديث خورشيد عنه وعن الأدوية التي يكتبها لي لكي أستعيد صحتي النفسية، جمعت العديد من الأسئلة داخل رأسي لأجعله يجيبني عنها جميعاً علّني أستطيع أن أفهم ما يحدث حولي.

انتظرته في غرفة المكتب بالطابق الأسفل كما طلبوا مني، والحماس يجعل أنفاسي مضطربة، اليوم سوف أقترب خطوة من معرفة أي شيء عن تلك البشاعة التي تشعرني بأنّي شخص مختلّ

دخل الطبيب الخمسيني، يبدو عليه الوقار وبرغم سنه إلا أن ملامحه ما زالت محافظة على وسامته، أنيق الملبس بطريقة ملفتة للأنظار، ألقى عليّ التحية برسمية قبل أن يجلس قبالتي متسائلاً عن أحوالي، أجبته باقتضاب أنني بخير، سألني بطريقة آلية:

-هل هاجمتك تلك الأفكار مرة أخرى؟
=أيّة أفكار؟
-هل نسيتِ ما تحدّثنا به في المرة السابقة بتلك السرعة؟
-ماذا؟ هل تقابلنا من قبل؟ أنا لا أعرفك ولم أرك قبل هذه المرة أنا حتى لا أعرف اسمك؟

=امممم... يبدو أن حالتك متأخرة للغاية، عندما أرسل لي خورشيد مكتوب بذلك لم أتصور أن تكون حالتك هكذا بالفعل ظننته يبالغ قليلاً !

جاوبته بغضب بأنّي لا أعرفه وأنّني لم أره مسبقاً، وبهدوء شديد صعقني بقوله أنّها المرة الرابعة التي يراني ويتحدث معي منذ أن استيقظت من غيبوبتي!

هراء!! مجدداً نعود للهراء... لم أمتلك مقدرة على مواجهة أفعال كتلك كنت مرهقة ومتعبة ولم تزل آثار الصدمات السابقة من عقلي بعد، نهضت بانفعال وقلت له بأنّني أريد إنهاء اللقاء.

بهدوء فظيع لا أعلم كيف يتميز به أجابني:
-آسيا.. سأدعك تفعلين ما يحلو لك لكني أيضاً سأقدّم لك عرضاً مغرياً للغاية..

توقّفت عن السير دون أن أنظر إليه فتشجع وأكمل حديثه حيث قال بنبرة منتصرة:
-حسناً.. سأجعلك تبحرين في ذاكرتك لخمسة عشر دقيقة ومن الممكن أن يجعلك هذا سعيدة لأنك ستعلمين شيئاً ما عن حياتك السابقة!

التففت إليه بسرعة قصوى لأعود أدراجي وأجلس أمامه كالطفل المنتظر لعودة والدته، فلنفعلها سريعاً... هكذا أخبرته فابتسم بهدوء، ثم طلب مني أن أتمدّد على "الشيزلونج" وأن أغمض عينيّ وأسترخي تماماً، امتثلت لأمره وأنا متحمّسة جداً، آخر ما التقطته أذناي من الواقع صوته حينما قال:
-أمامك أبواب متفرقة، كل باب بلون مختلف، اختاري ما تفضلين ثم افتحيه لكنّي قبلاً سأعدّ إلى العشرة وعند انتهائي من العد افتحي ما تحبين وادخلي إليه...

اخترت الباب باللون الأحمر والذي كان دون أن أعرف باب الحب!

دخلته فوجدت نفسي واقفة على شاطئ البحر ومن حولي العديد من البشر، شعرت بالضياع فلم تقع عيناي على أي شخص من الممكن لي أن أعرفه أو أتذكره!

ربت أحدهم على كتفي من الخلف، استدرت له بخوف لأجده عامل المقهى الذي كان على بُعد بعض الأمتار من الشاطئ، سألته بخوف عمّا يريده منّي فأخبرني بأن القهوة الخاصة بي قد بَرُدَت وأنهم قاموا بتبديلها مرتين!

لم أفهم شيء لكنّي قد استمعت لنصيحة الطبيب قبل أن أدخل ذلك العالم وحاولت أن أكون على طبيعتي وأسير مع الأحداث... توجهت مع النادل لطاولتي، وجدت أوراق وأقلام استنبطت أنها تخصني لأنني كما أخبرني خورشيد أكون كاتبة!

جلست برفق ورُحت أقلّب في الأوراق فوجدت أن جميع الأوراق خالية عدا عن ورقة واحدة كُتِب فيها اسم خورشيد!

ما المغزى من ذلك؟ هل بذلك الوقت كنت أعرفه؟ هل كنا زوجين آنذاك؟

مئات الأسئلة دارت بعقلي حينها.. حتى ظهر خورشيد أمامي يدخل إلى المقهى، طلته كانت قوية ووسامته شديدة كيف لم ألاحظها في الوقت الحاضر؟ هل كان شعوري قوياً نحوه لتلك الدرجة وقتها؟

جلس على الطاولة المقابلة لي وعيناه تلاحقني باهتمام بالغ، ابتسامته لا تفارق وجهه وهو يطالعني!

لم أدري كيف أتصرف فجلست مكاني لأنتظر فحسب فلا يجوز لي أن أغير مجرى الأحداث، أتى إليّ النادل ليخبرني برغبة الشخص الجالس قبالتي بتقديم لي بعض الحلوى فقبلت على الفور وطلبت من النادل أن يجعله إن أراد أن ينضم إلى طاولتي فلبّى خورشيد النداء، كان لطيفاً للغاية ورقيق الحس، قبّل يدي باحترام ورقة قبل أن يجلس على الطاولة، بادر بالحديث متسائلاً:

-لا أطيق الانتظار فهل لي بمعرفة إجابتك عن حديثي معك في الأمس؟

بالطبع لم أكن لأفهم عمّا يتحدّث لكني لم أرغب في أن أكون غريبة الأطوار، تنحنحت بحرج لكي أجيبه لكنه أنقذني من الموقف حيث أردف قائلاً بنبرة منبهرة:

-إنّه لمن المدهش أن نكون على علاقة عاطفية رائعة مع أنثى فائقة الجمال مثلك كل تلك الفترة ثم تكلل بالزواج، أنا على يقين بأنّك ترغبين بذلك مثلما أرغب به.

اخرج من جيب سترته خاتم زفاف أنيق للغاية، قدّمه لي على الطريقة الملكيّة، كان حقاً رجل لا يُرفض في تلك اللحظة حتى أنّني انبهرت به بالتأكيد إن كان بيننا علاقة حب طويلة فستكون ردة فعلي القديمة فرحة للغاية!

مددت يدي لألتقط الخاتم بابتسامة عريضة، وأنا أحدث نفسي بأنه وأخيراً شيء جيد أشعر به منذ أن استيقظت في ذلك القصر!

تفحّصته بعناية وفرحة، وجدت بداخله اسم مختلف عن اسمي ، كان اسم "مادلين" محفور به من الداخل!

نطقت بقلق:
-مادلين؟ من هي صاحبة هذا الاسم؟

هاجم الصداع الشديد رأسي بلا رحمة حتى أن الخاتم سقط من يدي، أمسكت رأسي بكلتا يديّ وأنا أصرخ من شدة الألم، كل شيء حولي مهزوز ومشوش... الوجوه غير واضحة، الأصوات متداخلة، المشاهد متشابكة، أحدهم يصرخ منادياً:
-آسيا.. آسيا.

جذبني شخص من يدي ثم قفز بي إلى خارج الباب، لأعود مرة أخرى إلى الطبيب الذي كان مقترباً جداً ويحاول إفافتي بشتّى الطرق.

ردّدت اسم مادلين بتكرار فسألني الطبيب عن سبب ذلك، قصصت عليه ما رأيت فكانت إجابته علمية فلسفية غير مفهومة!

لم أكفّ عن الرجاء لكي يعيدني إلى هناك ثانية فما زلت لا أفهم شيئاً وما زادني ذلك إلا فضولاً وعدم فهم، اعترض بشدة لأن ذلك يشكل خطراً كبيراً على عقلي، أخبرني بأن الجلسة القادمة ستكون في الأسبوع القادم.

samar ragab

تأكّدت من الطبيب أن الذكريات التي شاهدتها للتو حقيقية تماماً عدا عن بعض التفاصيل التي اختلقها عقلي ليكمل الثغرات الناقصة التي لم يستطع تكوينها وتذكرها بعد!

لذلك فهنالك بعض الأشياء الخاطئة مثل ذلك الاسم الذي شاهدته والذي يختلف عن اسمي كلياً!

لكني أشعر بشيء غريب... أشعر بأن تلك الذكرى باردة لا روح فيها وكأنّها مقتطف من مشهد في رواية، خورشيد برغم لطافته لكنه كان بارداً وكأنه يحفظ نصاً ويلقيه على مسامعي!

حتى وجه النادل كان يخلو من معالم الحياة، لا أعلم كيف أصف ذلك لكنني كنت داخل مشهد كُتِب بواسطة كاتب فاشل!

أجزاؤه غير مترابطة.. كيف لنا أن نكون في علاقة عاطفية طويلة وصلت لعرض الزواج ويطلب من النادل أن ينضم إلي أو يرسل لي معه بعض الحلوى!

أليس من المفترض أن تكون الحواجز بيننا متلاشية؟ أليس من المفترض أن يكون خورشيد أكثر مرونة في التعامل مع حبيبته؟!

ضيق الطبيب حدقتيه وهو يستمع إلى تساؤلاتي الدقيقة، لاحظت في عينيه نظرة ذات مغذى، قال بصوت يشوبه بعض الضيق:

-ما كلّ تلك التحليلات؟ لماذا ترهقين عقلك دائماً، الآن فهمت سبب عدم تعافيكِ وتجاوبكِ مع العلاج.

ماذا يقول هذا الرجل؟ إنّه أمامي ليساعدني وإنّني حقاً أسأل أسئلة مهمة! كيف له أن يسبب لي الإحباط هكذا؟

أخبرته بما يعتمل في صدري من ضيق بسببه فتدارك موقفه بأن أخبرني بأنه يتعجب من عقلي الذي لا يتوقف عن التفكير بأدق الأمور وتلك علامة خطرة على صحتي النفسية!

طرقت السيدة ناظلي باب الغرفة، ألقت التحية على طريقة سيدات المجتمع الفخمة، تقدمت نحونا ببطء وبرود أكرهه بها، هتفت بصوتها العميق:
-هل كل شيء على ما يرام أيها الطبيب؟ هل تحتاج زوجة ابني لأي شيء؟

نظر لي الطبيب ثم قال متبسماً أنني أمتلك حظاً وفيراً لأن والدة زوجي بتلك الطباع الحنونة، جاملته بابتسامة باهتة، أخبرها أن كل شيء على ما يرام عدا أنني فقط بحاجة إلى نظام علاجي جديد ومختلف عن السابق لأنه فهم أن المشكلة تكمن بعقلي حقاً وليس بسبب الحادث!

ضحكة مكتومة انطلقت من فمها المزين بحمرة شفاه بنية قاتمة اللون، ردّت عليه بأنها تودّ كثيراً أن أستعيد روحي السابقة لأن القصر أصبح كالجحيم بسبب تصرفاتي ومرضي.

ربت على كتفيها محاولاً طمئنتها بقوله أن كل شيء سيصبح بخير.

قلبت مقلتاي للأعلى بملل.. يا لهم من أغبياء!

تركتنا وحدنا مرة أخرى، هتف الطبيب يطلب مني أن أسترخي مجدّداً فرفضت الأمر متعللة بأنني متعبة وأحتاج إلى الراحة وأنا في حقيقة الأمر أرغب في الهروب منه بسبب توتّري من شخصه.

قلبي غير مطمئن لذلك الطبيب وأشعر أنه متواطئ معهم، لا أصدق بأنني مجنونة، أنا قادرة على التفكير وربط الخيوط ببعضها، هنالك لغز كبير بتلك العائلة وسوف أكشفه لكن مهلاً من تكون مادلين؟

لم أنم تلك الليلة وأنا أعيد ذلك المشهد الخاص بذكرياتي مراراً وتكراراً علّني أستطيع أن ألاحظ شيئاً آخر.

عصرت مخي بقوة والتشويش يزيد داخله، قاومت بكل قوتي، وجه خورشيد يهتز بسرعة جنونية، صوته يتداخل مع صوت البحر، مآساة تحدث بداخل عقلي، الصداع ينهش

رأسي كالحيوان المفترس، ستنفجر جمجمتي، صرخت بصوت رهيب لشدة ما أعانيه من وجع!

سقطت أرضاً وأنا ممسكة برأسي وأهزها وكأنني أعاقبها لأنها تؤلمني بتلك الطريقة، اتضحت الرؤية أمامي لجزء من الثانية.. لم يكن ذلك خورشيد في المقهى!

إنه الطبيب! نعم إنه الطبيب من كان يجلس قبالتي ومن أعطاني الخاتم ومن تحدث إليّ ومن سحبني من ذراعي لنخرج من أفكاري أيضاً!

لقد تلاعب ذلك الرجل بأفكاري؟ لقد تأكدت الآن من شعوري تجاهه، الصداع برأسي يتزايد حتى أصبح لا يُحتمل وصوتي الصارخ يتزايد معه فاستيقظ على إثره خورشيد وشقيقته شمس، أمسكاني من ذراعيّ، بقوة واهية حاولت أن أدفعهما بعيداً عني وأنا أصرخ بهما بضعف بأنهم أوغاد يتلاعبون بحياتي!

أعطاني خورشيد حقنة منومة لكنها أثقل من السابق، لأستيقظ في صباح اليوم التالي هامدة كالجثة لا أقوى على أي شيء، اقترب مني خورشيد وعيناه مليئة بنظرات الحزن والأسى التي من المستحيل أن تكون كاذبة، طبع قبلة حنونة للغاية على جبيني، صاح بنبرة أشبه بالبكاء:
-أعدكِ بأنكِ ستكونين بخير حبيبتي ولن أتركك تعيشين ذلك وحدك حتى لو اضطررت أن أجلس تحت قدميكِ بقية حياتي!

لمست في حديثه صدقاً لم أعهده به، لكنّني تعجبت من صدقه الآن وبقية أكاذيبه في الماضي، لقد تداخلت الأفكار برأسي كالعادة ولم أعد أفهم شيئاً.

بصوت خافت ضعيف للغاية طلبت مقابلة الطبيب مرة أخرى كالأمس لأواجهه بما علمت لكني بالطبع جعلته طي الكتمان حتى ألقاه، سألني خورشيد ببلاهة:

-مرة أخرى! الطبيب لم يأتِ بعد حبيبتي، لقد اعتذر عن الأمس على وعد منه بأن يأتي في الأسبوع القادم بالتأكيد!

جحظت عيناي، هززت رأسي برفض وأنا متعبة، انسابت العبرات من عينيّ بغزارة دون مجهود مني ، هتفت برفض تام:
-هذا مستحيل إنك لكاذب لعين.. لقد جلست معه وأدخلني لذكرياتي ورأيت كل الحقائق، لن تستطيعوا خداعي مرة أخرى.

زفر بقلة حيلة قبل أن ينهض ويخرج من جيب بنطاله رسالة في مظروف أنيق، فتحها وشرع في قراءتها بصوت مسموع فكانت كالآتي:

السيد خورشيد المحترم تحية طيبة وبعد:

أعتذر بشدة عن موعدي غداً مع سيادتكم لظروف خارجة عن إرادتي وعلى موعدنا الآخر في السبت المقبل وأرجو قبول اعتذاري المكلّل بالحرج الشديد.

الطبيب الياس صادق!

ناولني الرسالة لكي أنظر بنفسي وهو يقول بحزن:

-انظري بنفسك وتأكدي من أنها أُرسِلت إلينا حقاً وتحمل طوابع البريد وكل شيء قد يجعلك تصدقين أنها حقيقية! كفاكِ آسيا أتوسل إليكِ.. لقد اشتقت إلى حبيبتي في الماضي ولم أعد أتحمل اتهاماتك المستمرة لي.

ظللت أصرخ بصوت مكتوم متسائلة عمّا يحدث معي، هل أنا مجنونة حقاً؟

* * * * * * *

الغرفة رقم ستة

samar rajab

مضت الأيام كئيبة، هادئة، لم يحدث أي شيء غير طبيعي وكنت قد صدقت تماماً بأنّني مجنونة أو على أقل تقدير مشوشة الذهن وبحاجة ماسة للعلاج النفسي.

وقد قرّرت أيضاً أن أعامل زوجي برفق أكثر من ذلك لأنني أظلمه كثيراً معي بتلك الوساوس والتخيلات التي تصيبني، تخبطتُ مشاعر قلبي بين كوني مجنونة وبين ما يحدث أمام عيني وأعيشه بكل تفاصيله، لكن في النهاية قد قررت أن أصدقهم وأن أحاول أن أتعافى!
كنت آخذ أدويتي باستمرار، معظم الوقت أقضيه في سريري نائمة أو هامدة، كنت على وشك الخلود إلى النوم، دُقّ بابي فأجبت متسائلة عن هوية الطارق بعد أن اعتدلت جالسة على سريري ، أخبرني الطارق بأنه يكون خورشيد، هبطت من السرير لأفتح له، هتف بودّ متسائلاً عن حالي فأخبرته أنني كنت على وشك النوم، اعتذر لي ثم طلب مني شيئاً عجيباً!

طلب مني أن أرافقه إلى الطابق الأعلى لأن عائلته تجتمع في ذلك اليوم من كل عام ليمارسون بعض الألعاب للتسلية فهو يوم مميز للغاية حتى أنهم ينتظرونه لكي يمرحوا و يفرحوا سوياً!

سألته ببلاهة.. ألعاب ماذا بهذا الوقت خورشيد فأجابني بغرابة.. إنّكِ كنتِ أول الحاضرين كل عام!
خطر بذهني سؤال في تلك اللحظة فلم أخبئه وسألته على الفور.. كل عام؟ هل تزوجنا لأعوام عديدة لتلك الدرجة؟

دخلت شمس راكضة دون أن تدق الباب، أفلت خورشيد من الجواب عندما جذبته شمس بتهور لأنهم يستدعونه فوراً، نظرت لي شذراً وقالت بتقزّز.. وأنتِ أيضاً هيا أسرعي لا مزيد من الوقت أمامنا فالساعة ستدق الثانية عشرة بعد دقائق معدودة، تجاهلتها وظلت نظراتي المتسائلة معلقة على وجه خورشيد الذي اتخذها فرصة للهرب بعيداً عن أسئلتي المملة!

أكد عليّ بحتمية الصعود وإلا غضبت عمته فكرية وتلك غضبها لا يُحمد .

بدلت ملابس النوم على عجالة، صعدت إلى الأعلى دون أن أحمل ذرة شك واحدة بهم مثل السابق.

وجدت السيدات وقد وقفن في نصف دائرة مثلما اعتدت عليهن ومركزها خورشيد!

الضوء خافتٌ للغاية، اللون الأحمر الداكن جداً الذي توحّدت به ملابسهم جميعاً حتى خورشيد وشحوب وجههم وحمرة شفاههم الزرقاء القاتمة وشعرهم المصفف بطريقة جعلتهم كمصاصي الدماء؛ كل ذلك جعلني أخاف من جديد!

حدّثت نفسي متسائلة عن حقيقة ما أراه.. هل عدت إلى تخيلي البصري والسمعي كما وصف الطبيب حالتي، هل ما يحدث أمامي حلمٌ وأنا نائمة الآن.. حسناً لابد من دليل سوف أفعل أي شيء يجعلني أتأكد.

اقتربت نحو خورشيد لأنه الوحيد الذي لا أخافه حتى الآن، قلت له عن مخاوفي وسألته عما إذا كان ما يحدث الآن حقيقة أم سراب.. أكد لي أننا نعيش حقيقة تامة الشعور والحدث!

وقف أمامنا جميعاً بشموخ ويديه الاثنتين خلف ظهره، صاح بصوت جامد يخلو من المشاعر:

-سيدات القصر العزيزات.. إنه يومنا السنوي الذي ننتظره بكل شغف، سنعيش تفاصيله بمرح ولن ننساه أبداً... أنتِ يا آسيا لن تنسيه ما حييتِ!

ضيقت ما بين حاجبي باستغراب، كدتُ أن أفتح فمي لأتساءل عن مقصده، أشاح بيده في وجهه علامة أن أصمت، واستكمل حديثه بنفس النبرة:

-كما تعودنا كل عام نلعب ألعاباً مختلفة، أما عن لعبتنا هذا العام فتتجسّد في تلك الغرف خلفي.. وعددهم ستّ غرف ، كل غرفة فيها تحدي مختلف عن الغرف الأخرى.. وكل غرفة سيسقط بها شخص واحد ممّن بيننا ليصبح خاسراً ولن يكمل معنا بقية الغرف!

والآن لنبدأ.. هيا بنا إلى الغرفة الأولى، تحركنا بالفعل إلى الغرفة الأولى، بنظرة تفحصيه سريعة للغرفة.. تبدو خالية تماما من الأثاث عدا عن تلك الطاولة بالمنتصف ذات الستة مقاعد!

على رأس الطاولة جلس خورشيد وعلى رأسها الآخر جلست السيدة ناظلي وتمحورنا نحن البقية حول الطاولة، أخرج خورشيد "مسدّساً" صغيراً ووضعه أمامنا في منتصف الطاولة وبدأ بشرح اللعبة:

-تلك اللعبة شائعة في الآونة الأخيرة.. ذلك المسدس يحتوي على ست طلقات فقط وكل منا له دوره ، من مرّ دون أن تنطلق الطلقة بصدره فهو فائز أما الخاسر فلا بقاء له بيننا ولا عزاء!

-ماذا؟
انطلقت تلك الكلمة من حنجرتي مصاحبة لصرخة مدوية اعتراضاً على هذا الجنون الذي أسمعه، نظرت لي العمة فكرية التي جلست قبالتي بغضب.. أقسم أن عينيها حمراوتان كعينيّ الشيطان!

تجاهلت هيئتها المفزعة ونهضت لأعود إلى غرفتي وأنام أفضل من ذلك الجنون.. نظرت السيدة ناظلي لباب الغرفة فانغلق بقوة وعنف ثم قالت لي ببرود شديد.. إن استطعتِ الخروج فلكِ الأمر، لكنك مجبرة على الاستمرار إن فقدتِ القدرة على تحرير نفسك من الغرفة.

حاولت كثيراً أن أفتح الباب لكن هيهات أن يتحرك قيد أنملة من مكانه!

صرخت بي العمة فكرية لأعود إلى الطاولة فلم يتبقى سوى دقيقة واحدة على منتصف الليل، عدت وأنا أرتجف من الخوف فتلك العائلة حقاً لا تمزح!

عندما دق بندول الساعة الضخمة بالغرفة.. بدأ خورشيد باللعب.. وجّه المسدس ناحية صدره وأطلق النار فكانت الطلقة فارغة.

أعطاه لشمس التي التقطه بسرعة ومرح غريب وكأنها مقدمةٍ على أكل الحلوى !

كانت طلقتها فارغة هي الأخرى، ناولته للعمة فكرية فلمعت عيناها من الحماس ولأول مرة أراها تبتسم!

تباً... يا لكم من مجانين حمقى!

ثم دور السيدة ناظلي ليدور المسدس حول الطاولة فكانت طلقتها هي الأخرى فارغة!

هذا يعني أنه يتبقى بالمسدس طلقتان فقط، إما سيكون مصيري الموت أو الخلاص لكنه دور الخادمة ماريا، كنت متوترة وأشعر بالدماء تغلي في عروقي من شدة الخوف، وضعت الخادمة المسدس بصدرها وضغطت على الزناد فخرجت من فوهته طلقة عنيفة لتستقر بين ضلوعها وتسقط على إثرها قتيلة جاحظة العينين!

كلّهم يضحكون بشكل هيستيري ويصفقون بكفوفهم، صرخت بهم بعنف وفزع هيستيري، صفعتني العمة فكرية صفعةً قويةً جعلتني أصمت في الحال، نظر لي خورشيد بحدّة وهدّدني بالقتل إن كررتها ثانية بأي غرفة أخرى.. قال بصوت أجش مرعب.. أمامكِ اختيارين لا ثالث لهما؛ إما الرقص والفرح معنا أو المشاهدة الصامتة فقط وإلا قطعت رأسكِ من محلّه وأطعمت جسدك للكلاب الجائعة.

صمتُّ وقلبي يرتعد خوفاً، انتقلت معهم إلى الغرفة التالية رقم اثنين، كانت تحتوي على ستة مقاعد فقط ولا شيء غير ذلك!
كل مقعد بجواره أساور حديدية لليدين وصندوق صغير مثبت بجانب ظهر المقعد، خمس مقاعد فقط من تحتوي على مفتاح الأمان لتلك الأساور، ومفتاح واحد فقط يهبط بالمقعد إلى أخدود عميق به سيف ممتدّ بنصله للأعلى.. إن وقع عليه شخص لقسمه إلى نصفين!

ما أبشع تلك اللعبة.. أتلك الغرف مستويات من الأقل بشاعة إلى الأكثر بشاعة؟

كنت خائفة للغاية وقدماي لا تحملانني، أمسكني خورشيد بعنف وأجلسني على مقعدي وقيّدني بالأساور الحديدية، فعل الجميع مثلي.. فتحت العمة فكرية أساورها أولاً بسهولة تبعتها شمس ثم خورشيد وكالعادة تبقّى أنا والسيدة ناظلي!

جاء الدور عليَّ أولاً.. ارتجفت يدي وانزلقت عن المفتاح بسبب العرق الغزير الذي أغرق جسدي بالكامل، صرخ بي خورشيد فأسرعت وأنا أبكي في صمت... انفتح بسهولة ونهضت بسرعة لأقف بجانب الناجيين لكن في تلك الحالة سيكون الموت حليفاً للسيدة ناظلي والدة زوجي!

هل سيسمح لها بالموت هو وابنتها؟ هل سيتركانها تموت تلك الميتة البشعة؟

هتف الجميع من حولي يشجعونها على فعلها سريعاً، راحت تضحك بشر وحماس قبل أن تفتح الباب تحت مقعدها لتهبط على السيف ليخترق ظهرها ويخرج من بطنها من الناحية الأخرى!

لا.. لا.. تلك جرعة مكثّفة من الفزع لا أتحملها أنا فسقطت مغشيّاً عليّ.

قذف أحدهم على وجهي دفعة ماء قوية لكي أستفيق، لأجد نفسي بالغرفة الثالثة، كنت متسطحة على ظهري فوق شيء مستوي حديدي مغلف من جميع الجهات بما يشبه الزجاج يرتفع بحوالي متر تقريباً عن الأرض بسلاسل حديدية مثبتة بسقف الغرفة، كل منا مقيد لا يستطيع الإفلات، تسطح خورشيد مثلنا بعدما أيقظني وأخبرنا أن ما ننام فوقه به طبقة عازلة ستحمينا ثلاثة منا فقط من الزجاج الذي سيندفع من فوهات بالجدران كالمدفع ليقضي على شخص واحد لا يحتوى سريره على طبقة عازلة قوية تحميه من ذلك!

تراشقت قطع الزجاج من حولنا من كل اتجاه فكان نصيب العمة فكرية منه وافراً، ظلت تضحك بشدة وخورشيد وشمس يفعلان مثلها أما عنّي فقد أصبت بالإعياء الشديد من أولئك المجانين، أغمضت عيني حتى انتهى الصوت وانتهت معه العمة!

لم يتبقَّ سوى ثلاثتنا... وأنا لا أعلم حتى الآن أهو حظ عظيم نلته بعدم تعرضي حتى الآن لتلك البشاعة أم حظ تعيس للغاية لكوني على قيد الحياة أعاني مما أراه وأسمعه في ذلك القصر؟

الغرفة الرابعة.. أقفاص حديدية كبيرة، اثنان منهما فقط من يغلق بابهما جيداً والأخير ليس له قفل، علمت من خورشيد أن المغزى من ذلك وجود أسد مفترس جائع منذ أسبوع تقريباً سينال وجبته اللذيذة اليوم!

اللعنة! لا أريد أن أكمل تلك اللعبة أتوسل إليك اتركني فذلك فوق تحملي.. أجابني بأن أذهب إلى الجحيم فإنه حتى لا يهتم، دفعني بكل قوته إلى داخل إحدى الصناديق... كُتبت لي النجاة تلك المرة أيضاً، لم أهتم كثيراً بمن سيفلت منهما، سمعت صوت زئير الأسد في الخارج بالفعل وصرخات قوية مدوية تخرج من فم شمس!

كل من مات كان يضحك قبل موته إلا هي كانت تصرخ متوسلة برعب!

اصطكت أسناني ببعضها وارتعش جسدي بقوة، وضعت يدي على فمي حتى أمنع صوت بكائي من الخروج خوفاً من كل شيء .

برهة من الوقت وانتهي كل شيء كما بدأ.. اختفى صوت الأسد وصوت شمس وسكنت الأجواء من حولي، فتح لي خورشيد الباب، مدّ كفّه ناحيتي كي أتمسك به وأنهض للخارج، خفت من تلامس كفينا، فنهضت بسرعة وحدي، تجاهل الأمر وأخبرني بأن الغرفة القادمة هي من ستحدّد أمري وأمره!

كانت الغرفة الخامسة تحتوي على صندوقين فقط أحدهما يحتوي على مفتاح الخروج من الغرفة والصندوق الآخر يحتوي على طريقة قتل لصاحب الصندوق وستكون مفاجأة!

آخٍ يا قلبي هل تتحمل كل ذلك الخوف والفزع؟ تقدّمت لأفتح أي صندوق فدار الصندوقين حول بعضيهما بقوة رهيبة، سألته لمَ ذلك الدوران فأجابني بأنه لابد أن يدور الحلزون المثبت فوقه الصناديق ثلاث مرات حتى يكون منصفاً للطرف الآخر لأنني من وضعت المفتاح بأحدهما.

حدّثت نفسي قائلة بتهكم:
-لقد أثرت البكاء بداخلي حقاً.. ما هذا الإخلاص والتفاني بعملك يا رجل!

دارت الصناديق حول نفسها لثلاث مرات قبل أن تثبت في مكانها، فتحت صندوقي ببطء مميت، نظرت داخله بترقُّب فوجدت المفتاح!!

أخذته بلهفة وتوجهت بسرعة إلى باب الغرفة لأفتحه وأهرب من قصر المجانين هذا، استمعت إلى خورشيد حينما قال بصوت عالي وهو يقرأ الورقة الخاصة بصندوقه:
-اقفز من النافذة.

نظرت له نظرة أخيرة وهو يهم بالقفز ثم صرخت بأعلى صوتي بنبرة شامتة:
-اذهب إلى الجحيم أيها الأحمق.

ركضت باتجاه أول الممر لكي أهبط إلى الأسفل وأخرج من القصر بلا عودة، وجدت باب جرار حديدي غريب لم يكن موجود من قبل يشبه أبواب السجون، وقد عُلِّقتَت عليه ورقة تقول بأن الباب لن ينفتح إلّا بتنفيذ لعبة الغرفة رقم ستة!

ضربت الباب بقدمي بعنف شديد من شدة غيظي، آلمتني قدمي كثيراً، وأصبحت أمشي وأعرج على قدمي الأخرى فقط، توجهت متألمة إلى الغرفة اللعينة فلم أجد بُداً من تنفيذ الأمر لكي أحصل على حريتي.

دخلت الغرفة فوجدت... السيدة ناظلي، العمة فكرية، الخادمة ماريا، وشمس يقفان بنصف دائرة كعادتهن!

كلهن بصحة جيدة ولا تشوبهن شائبة، فزعت منهن فزع لم أفزعه بحياتي كلها فكل ما حدث من قبل شيء وما يحدث الآن شيء آخر!

أردت أن أخرج وأغلق عليهن الباب من الخارج، أوقفني شخص ما من الخلف ودفعني للداخل، استدرت برعب لأراه فوجدت أنه خورشيد!

أحاطوا بي من كل اتجاه.. صرخت بهيستريا وهم يقتربون مني ويضيقون الدائرة حولي، ضحكاتهم العالية المخيفة ملأت الأرجاء، ظلوا يقولون بصوت جماعي " نحن لا نموت.. نحن لا نموت"

غبت عن الوعي عندما تدمّرت أعصابي وضاقت أنفاسي من شدة ما عانيته من هلع!

نفس المشهد يتكرّر... خورشيد يجلس بجواري على السرير والسيدات يلتففن حوله بنصف دائرة!

أوف! كم أكره ذلك المشهد.. كم أكرهه!

صرخت قائلة:
-ليس مجدّداً.. ما تلك الأمور المريعة التي حدثت ليلاً؟

نظر لي خورشيد بحزن شديد، ثم أخبرني أنني قد جننت مرة أخرى حين أخبرتهم بأنني متعبة وسأصعد إلى غرفتي كي أستريح قليلاً.. ثم بعد ساعة من ذلك الحديث هبطت إليهم ثانيةً ورُحت أصرخ بهم دون أي سبب وهم جالسون حول مائدة العشاء وأقول بأنهم مجانين وأنهم قُتلوا ثم عادوا إلى الحياة وأشياء من هذا القبيل.. فقام خورشيد بتهدئتي وأخبرني أنني حتماً كنت أشاهد كابوساً ليس إلّا!

أخبرني أيضاً أنني انهرت عصبياً ولم أتوقف عن الصراخ إلا عندما أعطاني إبرة مهدئة!

أخفضت رأسي بخجل شديد ، وأنا أصدّقه تماماً، قلت له وأنا أبكي:
-أرجوك خورشيد.. خلّصني من حياتي فلم أعد أنفع لشيء، أنا مصدر إزعاج لك ولعقلي أيضاً لقد كرهت حياتي وكرهت كل ما حولي أرجوك خلصني منها أرجوك.

مسح على شعري ثم قبل جبيني برفق ووعدني أن أكون بخير لكننا بحاجة إلى بعض من الصبر.

حنانه عليّ بتلك اللحظة جعلني أهدأ، خرجت السيدات واحدة تلو الأخرى دون أن ينطقن بأي شيء!

أمسك خورشيد بيدي ثم قرّبها إلى شفتيه وطبع عليها قبلة رقيقة حانية أشعرتني بالأمان القليل بوجوده وأنّني سأصبح بخير حقاً لقربه منّي وصبره الكبير على مرضي!

ذهب ليحضر لي الفطور في السرير حتى لا أتعب بالهبوط إلى الأسفل، منحته قبلة على وجنته ثم شكرته بنبرة محبة للغاية.

نهضت لأهندم مظهري في المرآة لكي أصبح جميلة في نظره حينما يعود لي بالفطور.

آلمتني قدمي كثيراً حتى أنني لم أستطع أن أضغط على الأرض، تذكرت شيئاً هامّاً... لقد ضُربت قدمي بذلك الباب الحديدي!

تذكّرت كفّ العمة فكرية القوي لي عندما شعرت أن وجهي يؤلمني! تحاملت لكي أصل إلى المرآة فوجدت وجهي به بعض الكدمات على شكل أصابع اليد!

* * * * * *

samar ragab

صاحبة القفازات السوداء

كيف لي أن أثبت أنني داخل لعبة قذرة حاكها من بالقصر ضدي؟ لا أعلم لماذا يتصرفون معي هكذا؟ هل هم مجانين؟ هل هم سحرة أشرار؟ لكن على أي حال ما الفائدة من ذلك كله؟

يكاد رأسي ينفجر من كثرة التفكير والتحليل، غادرني النوم فذهبت إلى الشرفة لأجدد خلايا صدري ببعض النسائم الليلية الباردة، رأيت خورشيد يقف في حديقة القصر لاستقبال سيدة عجوز غريبة الأطوار، ترتدي فستان أسود عاري الأكتاف أسدلت فوقة عباءة حمراء قانية اللون، وشعرها أشعث جميع خصلاته بيضاء، تحمل حقيبة بنفس لون العباءة، وترتدي قفازات سوداء.
انحنى لها خورشيد احتراماً، قابلته ببرود، تطلّعت إلى القصر بتفحّص ونظرات نارية، وقعت عيناها عليّ لمحتها جيداً لأن الشرفة ليست مرتفعة كثيراً، أشارت بيدها إليّ متحدثة إلى خورشيد، لم أسمع تمتمتها الغريبة ولكني فهمت أنها تتحدث عني بكل تأكيد! أثارت تلك الغريبة الرعب في نفسي، هيئتها ولباسها مرعبان للغاية، راقبتها حتى دلفت إلى القصر، ترددت كثيراً بين الذهاب إلى خورشيد وسؤاله عن تلك المرأة أو التجاهل، كسر خورشيد ذلك التخبط داخلي عندما جاء إلى غرفتي بعد مرور بعض الوقت ليخبرني أنه جاءتنا ضيفه عزيزة جداً، وأتت خصيصاً لمقابلتي، سألته بلهفة شديدة عن سبب ذلك، أخبرني أنها هنا لمساعدتي خاصة بعدما حدث لقدمي ووجهي وتشوشي الأخير الغير مفهوم أو مبرر... قال أيضاً أن الأمر لم يعد يحتمل الصبر ولابد من التدخل السريع!

-أي تدخل يا خورشيد أو بالأحرى ما نوع ذلك التدخل؟
=ستعلمين في الغد.. هيا تصبحين على خير.

لم يعطني فرصة لقول المزيد ، غادر مسرعاً وتركني لأفكاري تتكالب على رأسي وتنهشها بلا رحمة، بالطبع لم يحنّ النوم على جفوني فظللت جالسة بشرفتي حتى أتى الصباح، كنت أول الحاضرين على طاولة الإفطار، شاهدت العجوز المريبة وهي تهبط الدرج، رمقتني مرة أخرى بتلك النظرات النارية البشعة، حاولت أن أحافظ على مظهري الخارجي الثابت الذي يعكس ما بداخلي بالطبع، جلست على المقعد المقابل لي ونظراتها مثبتة عليّ تماما!

لم أعد أتحمل ذلك التوتر، هتفت متظاهرة باللطف:
-مرحباً بك سيدتي.
ضيقت حدقتي عينيها ولم تجبني!
ياللغرابة! هذا ما كان ينقصني حقاً... ألا يكفيني غرابة الأشخاص المتواجدين بالقصر لأعاني مع شخص جديد!
شرع الجميع بتناول طعامه عدا عن تلك السيدة التي لم تخلع قفازاتها السوداء من الأساس!

بدأت في تناول طعامي لكي أحاول أن أكون طبيعية بعض الشيء ، طرقت العجوز على الطاولة بعنف هادر أرعبني، فصرخت فزعةً، حاول خورشيد تهدئتي لكني قد خرجت عن طوري بأن نعتها بالمخبولة!
ليتني ما فعلت! نهضت بهدوء وما زالت نظراتها تثقب جسدي، اقتربت من مقعدي ووقفت خلفي تماماً حتى أنني شعرت بأنفاسها الساخنة تحرق رقبتي، غمغمت بصوت يشبه فحيح الأفعى:
-الآن... لن أنتظر الليل.. الآن!
تباً لكِ.. لم أفهم شيئاً ولا أشعر إلا بالخوف يمزقني، نهض الجميع بدون صوت ليتوجّهوا إلى الغرفة المغلقة بالطابق الثاني، كن يتبعنها بنظام عجيب هي في المقدمة وكل السيدات خلفها واحدة تلو الأخرى وكأنهن في صف المدرسة!

أمسكني خورشيد من كتفي يحثّني كي أذهب معه بهدوء دون جلبة أو عصبية، كنت أرغب في فهم ما يحدث فمشيت معه بالفعل وراءهن وهو خلفي ليغلق الصف!
سحقاً! ما أكثر الطاولات بهذا القصر، ما سر عشقهم الفظيع للطاولات، معظم الغرف تحتوي على طاولات ومقاعد فقط حتي تلك المغلقة نفس الطريقة.
اشترطت المرأة أن تكون الغرفة مغلقة بإحكام ومظلمة إلا عن ضوء تلك الشموع السوداء التي وزعتها في مختلف أنحاء الغرفة.

جلست العجوز بمقدمة الطاولة، وخورشيد في مقابلتها على رأس الطاولة الآخر والتففنا نحن البقية حولهم، أسندت العجوز ذقنها بكلتا يدها المغلفتان بالقفاز الأسود ، أغمضت

عينيها وراحت تتمتم ببعض الكلمات الغريبة، اهتزت الطاولة بعنف ومعها قلبي يهتز أكثر منها!
فعل الجميع مثلها عداي، وزعت نظراتي عليهم جميعاً، أحاول مراقبتهم جيداً كي لا يخدعوني مرة أخرى.
بعد مرور بضع دقائق على تلك الحالة، توقفوا عن فعل ذلك لكنهم كانوا غريبي الأطوار بعدما فتحوا أعينهم، ينظرون إلى العجوز بثبات مخيف حتى جفونهم لا ترف!
-خورشيد.. أحضرها أمامي!

بالفعل تحرك وكأنه مسحور ليمسك ذراعي بقوة ويدفعني لأقترب منها مباشرةً، طلبت مني أن أجلس على ركبتي، تهكمت عليها ضاحكة مستهزئة ولأنني أعلم أنهم مجرد مجانين وأن ما أشاهده ليس إلا ألعاب فاشلة ليشعروني أنني مجنونة!

توقفت ضحكاتي عندما صرخت متألمة من شيء غير مرئي.. كأن أحد يلف يديه حول رقبتي ويخنقني.. أحد من اللاشيء.. أنا أشعر بهذا حقاً ولا أتخيله أو يجبرني أحد على تخيله، إنه يحدث أنا أختنق بشدة حتى ظننت أن الموت آتٍ بلا محال!

دفعني ذلك الشيء أرضاً لأسعل محاولة أن أتنفس أكبر قدر ممكن من الهواء، كنت أتلوّى من الاختناق كالملسوعة، جذبتني العجوز بإشارة من يدها، أخضعتني لأجلس على ركبتي كما أمرتني، وضعت إبهام يدها اليسرى بمنتصف جبهتي وضغطت بكل قوتها، أقسم أن نيران الجحيم قد تجمعت تحت إصبعها، صرخت كما لم أصرخ من قبل، صرخت قائلة بعض التمائم ثم قالت بحزم:
-اللعنة عليك يا ساكن هذا الجسد... سوف أقوم بحرقك حياً إن لم تغادر بسلام.

لم يعي عقلي ما تهذي به تلك العجوز الشمطاء، حاولت أن أتملص منها فلم استطع إطلاقاً، أجلستني على مقعدي ثابتة الجسد لكن ثائرة الروح. حبيسة داخل بلورة وهمية أحاول الخروج منها باستماته لكن بلا جدوى.

أسمع وأرى كل شيء من حولي لكن ليس باستطاعتي الإجابة أو الاعتراض، طلبت منهم العجوز الهدوء والاستعداد لبداية الجلسة... جلسة تحضير الأرواح!

أمسك الجميع بكفوف بعضهم البعض على أن تغلق الدائرة مهما حدث لا يجوز أن يترك أحدنا كف الآخر.. نعم أمسكت بيد شمس من جهة ويد خورشيد من الجهة الأخرى دون إرادة مني بذلك كنت مسيّرة تماماً!
أخبرتنا تلك العجوز أننا على وشك الإبحار بعالم آخر، إن أخطأ أحد منا بشيء فلن يستطيع العودة وسيتحول جسده إلى جثة بلا روح لأن روحه ستمكث في ذلك العالم بلا رجعة!

عبث! إنه مجرد عبث إنها توهمني وتلعب بأعصابي أنا متأكدة... لابد أنّ ما يحدث الآن هو مجرد خدعة جديدة، بدأت بقول تمائمها الغريبة بصوت غريب متحشرج وكأنه صوت رجل غليظ، في تلك اللحظة شعرت أن الأمر بدأ يأخذ مساراً آخراً أكثر جدية!
تسرب الرعب بداخلي وودت أن أهرب من ذلك بأقصى سرعة أمتلكها، صرخت العجوز بصوت مفزع قائلة:
-أخبرتك بأن العواقب ستكون وخيمة، تحدث إليّ وأخبرني؛ ماذا تريد منها ولماذا سكنت جسدها؟
صمت رهيب جعلها تهدر بعنف مميت:
-أنت من ستجلب الدمار لنفسك.. لست آسفة على معتدٍ مثلك... آخر فرصة لديك، فلتتحدث بصوتها أو تعطيني إشارة ما لوجودك.. قم بهز الطاولة مثلاً!
مرت بعض الثواني قبل أن تهتز الطاولة بعنف، اعتبرتها العجوز إجابة فهدأت قليلاً وتغيرت نبرتها لتعود طبيعية من جديد، سألت.. ما هو اسمك؟
حاولت أن أتحرر من سيطرتها عليّ، أغمضت عيني بقوة محاولة أن أذهب بعقلي إلى أي شيء آخر قد يخرجه مما يعايشه الآن، لا شيء بخزائن ذكرياتي سوى ما حدث منذ أن استيقظت من غيبوبتي، كلها ذكريات سيئة تزيد رهبتي وهلعي، تذكرت ذلك اليوم حينما قابلت الطبيب، حاولت أن أعيش نفس اللحظات التي رأيتها وأنا في جلسته، فشلت في البداية في اختراق كهوف عقلي المظلمة، لكنني خُلقت عنيدة ذلك أنا على يقين تام بقدرتي ، تصميمي وارادتي ليس لهما حدود.
نجحت أخيراً في نسج خيال خاص بي بعيداً تماماً عن شر تلك المرأة اللعينة وسيطرتها الكاملة على جسدي!
وجدت نفسي ممددة على سرير في حجرة صغيرة، نائمة بعمق، تصرخ بجواري طفلة في الرابعة من عمرها، تناديني "ماما" بلهفة وقد اعتصر البكاء عينيها اللوزتين الصغيرتين، استيقظت لأحتضنها تلقائياً ووجدت نفسي أهدهدها حتى تهدأ، ابتسمت من بين دموعها وقبلتني قبلة رقيقة حنونة، بادلتها بقبلات كثيرة متفرقة، داعبتها بمرح حتى ارتفع صوت ضحكاتها وتغير مزاجها تماماً، فُتِح باب الغرفة فجأة ليدخل رجل شاب في مقتبل عمره يقول لي مازحاً:

-هل أيقظتك تلك الشقية رغم اتفاقي معها بتركك تنالين قسطاً من الراحة.
اقترب مني ليكمل حديثه بنبرة أحن:
-أعتذر منكِ حبيبتي لأنني لم أستطع السيطرة عليها.. ولكي أتأكد من مسامحتك لي سوف أطبخ لكِ بيدي طعام الغداء.
التقط الطفلة وهو يقبلها بحب، وطلب مني برفق أن أعاود النوم لحين انتهائه من إعداد الطعام.
عدت للنوم بشكل عميق حتى أتاني صوته ثانيةً وهو يوقظني لأتناول الغداء برفقته وأنه متشوق للغاية لمعرفة رأيي فيما صنعته يداه من أجلي.
داعبني بمزاح حتى أفيق لكن نومي كان ثقيلاً فصاح بصوت جهوري:
-هيا مادلين يكفيكِ دلالً!
مادلين!! مجدداً مادلين؟ ذلك الاسم سبب لي مرة أخرى صدمة نفسية كبيرة جعلت رأسي يصرخ مستغيثا من ذلك الصداع البشع الذي يصيبه عند تلك النقطة من الذكريات، رغماً عني صرخت ممسكة برأسي بكلتا يديّ ودون أن أشعر أفلت يديّ من شمس وخورشيد لأفتح الدائرة التي حذرتنا العجوز من فتحها مهما كان السبب!
هي تصرخ بغضب رهيب وهم حولها يتساءلون عما حدث أما عني فكنت مستلقية على الأرض أصرخ بهيستيريا من شدة الألم، اقتربت مني العجوز وراحت تضربني بكل قوتها بيديها وقدميها، و لولا أن خلصني خورشيد من بين يديها لكنت الآن ميتة بلا شكّ!
حملني خورشيد إلى غرفتي، كان خائفاً عليّ جداً، لم يتوقف صداع رأسي لكن قد خارت قواي فسكنت وداخلي بركان متألم غاضب، أعطاني خورشيد تلك الإبرة المهدئة، أعترف أنني كنت بحاجتها تلك المرة لأتخلص من معاناتي مع الألم الشديد.
راودني حلم غريب خلال نومي...
رأيت أنني أجلس في حديقة القصر والطفلة التي شاهدتها أثناء محاولتي لاسترجاع ذكرياتي؛ تلعب أمامي وتركض بمرح، شاهدتها بحب بالغ، ذلك الرجل الحنون أيضاً رأيته يدخل من باب القصر باحثاً بعينيه عني، لوح لي بيده من بعيد، ابتسمت رغماً عني وشعرت بأن قلبي يدق له وأنني أودّ العيش معه للأبد!
التقط الطفلة وهو يضحك فرحاً، دار بها وتعالت ضحكاتهما ليرقص قلبي متنغماً على صوتيهما.
سحابة سوداء غيمت على مكانهما دونما أي مكان آخر فوقهما فقط ومباشرة، صرخت الطفلة فزعاً، ضمها الرجل بقوة محاولاً تهدئتها، ركض بها نحوي وهو يصرخ بي أن أهرب، لم أفهم سبب صراخه، أيخاف من غيمة!
تحولت تلك الغيمة فجأة لوجه مريع؛ الآن فهمت سبب خوفه، كان ذلك الوجه يشبه تلك العجوز لكنه أبشع، امتدت يداها التي كانتا بتلك اللحظة دون القفازات لأرى ثعبانين بدلاً عن كفيها!

امتد الثعبانان راكضين خلف الرجل والطفلة، كنت أرتجف خوفاً عليهما رغم جهلي التام بهويتهما لكن قلبي يتلهف فزعاً من أن تصيبهم تلك الشمطاء بأي أذى!
صرخت بها أن تتوقف بجرأة لا أعلم مصدرها، استيقظت وأنا أصرخ برعب، وجدتني وحيدة لا أحد حولي مثل كل مرة، نهضت من فراشي عازمة على الذهاب إليها لأعرف منها لماذا تلاحقني ومن ذلك الرجل وطفلته.
طرقت باب غرفتها عدة مرات ولم أتلقَّ استجابة فاقتحمت الغرفة، وجدتها نائمة في فراشها، اقتربت منها بحذر، نزعت عنها غطاءها ببطء، كانت تنام بقفازيها الأسودين! لتلك الدرجة تحبهما أم أن كفوفها كما رأيتها في منامي؟
قررت أن أزيلهما فوجدت أن كفيها بالفعل ثعبانين متوحشين، صرخت بهلع رهيب، فتحت عينها وراحت تضحك بصوت مرتفع مخيف للغاية!
ركضت من أمامها بسرعة، استطعت الخروج من القصر ووجدت نفسي في الحديقة، دب الرعب بقلبي عندما تذكرت الكابوس، زادت سرعتي في الركض، اصطدمت بخورشيد الذي أحاطني بيديه، تحدث إليّ بهدوء حتى أهدأ، أخبرته وأنا ألهث عن كفوف العجوز الذي أحضرها إلى القصر.

تبدّلت ملامحه إلى الاستياء وأخبرني بنفاذ صبر أن تلك المرأة قد غادرت غاضبة عندما قمت بإهانتها على طاولة الإفطار ولم يستطع أي أحد منهم أن يقنعها بأنني لا أعلم شيء عن حدة تصرفاتي وأقوالي لكن قلبها لم يرق قط وغادرت بلا رجعة.

صرخت به، أوسعته ضرباً قاسياً وكنت في أوج غضبي، نعته بالكاذب المخادع عدة مرات، جذبني من يدي بقوة وقد نفذ صبره، ألقى بي داخل القصر وهو يصرخ قائلاً:

-لقد مللت يا امرأة.. ها هو القصر أمامك أحضريها أمامي واثبتي لي كذبي الآن وسأدعك تفعلين ما تشائين بعد ذلك.

ركضت مثل المجنونة أبحث عنها في كل جنبات القصر ولم أعثر على ظلها حتى!

* * * * * * *

الزائر الغامض

أصبحت وحيدة أكثر من السابق بعد ذلك اليوم، فضلت عزلتي عن الجميع، توسلت خورشيد بأن يسمح لي ببعض الراحة في غرفتي ولو لأسبوع واحد لألملم شتات نفسي وأهذبها، وافق على مضض بأن يتركني ثلاث أيام لا أكثر.

خرجت ليلاً لأستنشق بعض الهواء وجلست أشاهد السماء وأتحدّث معها وكأنها شخص يسمعني، سألتها عن الذي يحدث معي، هل أكون بالنهاية شخص مجنون، كل شيء حولي يشير إلى ذلك، أمسك بين يديّ مئات الأدلة، أرى وأسمع الأهوال ثم ينتهي بي المطاف دائماً في درب الجنون.

-هذا يحدث لأنكِ لا تفكرين بشكل صحيح؟

التفت بسرعة قصوى وأنا أرتعد من الخوف، كنت وحيدة بالغرفة فمن أين أتى ذلك الصوت، ابتلعت لعابي ببطء مميت، حاولت أن أطمئن نفسي بأنني أتوهم وأن ذلك الصوت من خيالي ليس إلا!

-لا لست خيالاً.. ها أنا أجلس على سريرك تعالي وشاهديني!

كاد قلبي أن ينخلع من محله، أغلقت باب الغرفة جيداً وأنا أكيدة من ذلك، اقتربت ببطء ناحية المصباح، وجهته على الفراش فوجدته يجلس، إنه نفس الرجل والد الطفلة من أشعر عندما أحلم به أو أتخيله بالحب والطمأنينة!

سألته بحذر كيف له أن يتواجد أمامي من العدم، ومن هو بالأساس.. أجابني مبتسماً بأنه شخص يحبني كثيراً وقد اشتاق إليّ حد الموت، سألته مجدداً عن هويته فقال لي.. اسألي قلبك يا مادلين؟

صرخت بلهفة.. نعم نعم مادلين! من هي إذا مادلين أخبرني أرجوك، رد بصوت هادئ.. لا أستطيع إخبارك الآن.. جئت لأمدّك بالقوة لأنني أشعر دائما بك وأشعر أنكِ بحاجتي كوني قوية لأجلي ولأجل ليلى.

سألته عن ليلى.. من تلك هي الأخرى، إجاب باقتضاب.. ليس لدي الوقت الكافي لتلك الأحاديث الجانبية، لا تخبري أحداً بأنني مررت من هنا.

-هل أنا مجنونة؟
=بالطبع لا، إنكِ قوية وأنا أثق بأنكِ ستعودين لنا عما قريب.
-من تكون؟
كان الصمت هو الإجابة على سؤالي الأخير، لقد تلاشى كل شيء وكأنّه لم يكن، لديّ شعور قوي للغاية بأنني أعرفه، إنه يؤثر بكياني كله، جاء ليبثّني الأمان، شيء لطيف داعم لي حقاً، وأخيراً استطعت أن أشعر بالثقة في شيء ما!

ملأت القوة عقلي، أعدت المشاهد مرة أخرى، تذكرت تلك الغرفة التي تم بها جلسة تحضير الأرواح، مشيت على أطراف أصابعي، فتحت باب الغرفة ببطء، إنها نظيفة جداً، حدثني صوت الرجل بعقلي، طلب مني أن أبحث بشكل دقيق عن أي دليل كان، كدت أفقد الأمل بعدما قلبتها رأساً على عقب ولم أجد شيئاً، وقعت عيني على شيء صغير يلمع في أحدى الزوايا، التقطه بلهفة لأجده عقد صغير كانت ترتديه العجوز، بالتأكيد بحثت عنه كثيراً ولم تجده، إنه الآن في قبضتي!

أيها المحتالون.. أنا مجنونة أليس كذلك والعجوز غادرت قبل أن تتناول فطورها!

هل ركض العقد إلى هنا وحده؟ أخذته وخبأته جيداً تحت سريري، تدثرت بغطائي، أدرت عقلي كالطاحون لأفكر بطريقة تجعلني أربح حربي مع هؤلاء الأشرار، لكن لابد لي أولاً أن أعلم من هي مادلين ومن هذا الرجل وتلك الطفلة الصغيرة!

غلبني النعاس فوجدت أنني بداخل حلم مجددا...

شاهدت الرجل يجلس أمامي على طاولة الطعام ممسكاً بجريدة يقرؤها باهتمام، جذبت الجريدة من يده، هتفت بدلال:
-في الجريدة شيء أهم مني؟

=بالطبع لا حبيبتي لكنه ذلك المقال الجديد الخاص بي قد تم نشره رغم معارضة رئيس الجريدة له، كنت أطالعه لأتأكد من نشره كاملاً دون نقصان.
-عن التخاطر أليس كذلك؟
=نعم.. تعرفين أهمية ذلك الأمر بالنسبة لي، ليس بالشيء الجديد لكنه مجهول تماما وأنا أعمل جاهداً على تبني الفكرة وتطويرها وإيصالها لأكبر عدد أقدر عليه من الناس.

-علّمني إياه..
=لكِ قلبي وعيناي وكل ما أملك حبيبتي.

شرع في تعليمي طريقته كاملةً، وأنا أنصت إليه باهتمام.

استيقظت من نومي مجبرة على صوت طرق مرتفع يأتي من الحديقة، إنه عامل الحديقة الأحمق يعمل باكراً، لقد تضايقت كثيراً لأنني كنت أرغب في معرفة المزيد، بدأت الرؤية تتضح أمامي بعض الشيء ، تلك الأحلام جزء من ذاكرتي وذلك الزائر شخص يحاول الاتصال بي عن طريق التخاطر!

أشك بشيء ما لكني لن أدونه الآن حتى أتأكد منه أولاً، ارتديت ثيابي وخرجت من غرفتي، كنت في اليوم الرابع الذي حدده لي خورشيد للتوقف عن عزلتي، كنت مبتهجة للغاية لأنني اتخذت خطوات جدية نحو فك اللغز المحيط بي ولتأكدي التام بأنني لست مجنونة، جلست على طاولة الإفطار ببهجة لم يعتادوا عليها فنظر الجميع لي شذراً عدا عن خورشيد الذي ابتسم فرحاً من هيئتي الجديدة.

توجهت بعد ذلك إلى غرفة المكتب الخاصة بخورشيد، هتفت بمرح مصطنع حاولت أن يكون صادقاً:
-خورشيد.. أرغب في طلب بعض الأشياء منك.
=لك الأمر ولي سرعة التنفيذ.
-أشعر بأنني بحاجة إلى رسم اللوحات... هل تمدني بالأدوات؟ وأريد أن أستعير بعض الكتب والروايات من تلك الأرفف بمكتبتك؟
= لكِ ما تشائين لكن ماذا عن كتابة يومياتك؟
-لم أنسَها بالطبع لكني أرغب في الرسم الآن وليأتي أمر الكتابة لاحقاً.

في ذلك الجزء من الحديث دخلت السيدة ناظلي، كان وجهها غاضباً، وجهها دائماً بارداً يخلو من علامات الحياة لكن غضبها الآن جعل وجه خورشيد يتوتر كثيراً، لم أفهم ما يحدث بينهم وحقاً لا أريد معرفته، كل ما يهمني الآن هو خطتي التي أسير بها.

تركتهما وخرجت من المكتب ليتحدّثا على انفراد فكان حوارهما كالتالي:

أحبها يا أمي.. أذوب بها عشقاً ، إنها مختلفة عمن سبقوها!

تلك الجملة خرجت من فم خورشيد للسيدة ناظلي التي كانت تقف غاضبة حتى صرخت به موبخةً:
-هل جننت.. ألم أخبرك آلاف المرات أن الحب ممنوع؟

=لكنّها أسرت قلبي رغماً عني.. فلنتوقف أرجوكِ.. ألا تريدين رؤية ابنك سعيداً؟

رمقتني أقف خلف الباب من تلك الفتحة الصغيرة به، صمتت عن الكلام، أسرعت نحوي بعصبية مفرطة منافية لذلك البرود العجيب الذي دائماً ما تكون عليه.. قبل أن تتفوه بشيء أخبرتها بأنني أحب خورشيد أيضاً وأريد أن أراه سعيداً وأنني أعلم بأنها مستاءة لأن زوجة ابنها مجنونة ولا تستطيع إسعاده هي فقط تجلب المتاعب لقلبه، أخبرتها أيضاً بأنني سأعمل جاهدة على التخلص من وساوسي لأجل زوجي الحبيب!

بتلك الطريقة استطعت أن أتلافى شر محتم، خرج خورشيد مسرعاً باتجاهي، قبّل رأسي ووعدني أن الأمور ستكون بخير وأنه بجانبي مهما كلفه الأمر قال جملته الأخيرة وهو ينظر للسيدة ناظلي بتحدّي، ودّعني قبل أن يخرج ليقضي بعض الأشياء الخاصة بالقصر ومتطلباته، طلبت منه أن أستعير بعض الكتب من مكتبته لأنني أشعر بالملل، رحب بذلك كثيراً وترك لي كامل الحرية بأخذ ما أشاء.

بحثت بعين ثاقبة عن أي كتاب يخصّ التخاطر أو يتحدث عنه، تملك مني التعب بعد فترة من البحث لكن لم أشعر باليأس بعد، حتى وجدته أخيراً، أخذت معه كتابين آخرين حتى لا يرتاب أحد في أمري، صعدت إلى غرفتي وأغلقت بابها خلفي مسرعة متلهّفة.

فتحت الكتاب وبحثت عن طريقة التخاطر فوجدتها مثلما تحدث معي ذلك الرجل في المنام بالضبط.

تتبعت الخطوات الموجودة بالكتاب بدقة، استرخاء تام، ضوء خافت أو معدوم بالغرفة، تخيل أن هالة الشخص الذي تريد أن تفعل التخاطر معه بشكل دائري حوله، حاول أن تتخيله بشكل واضح، إن كنت مبتدئاً يجب أن تكون الجملة أو السؤال قصير ومختصر للغاية.

تخيلته كما ظهر لي عدة مرات، سألت باختصار شديد.. من أنت؟

فزعت من وجوده أمامي يحدثني بصوت مسموع، لا أحلم.. لا أتخيل هو أمامي مثلما جاءني أول مرة.

لا وقت للفزع أو الذهول.. سألته بسرعة.. من أنت؟

أجابني بتساؤل:
-لا أعلم سبب لفظك لي في الفترة السابقة، لكن أنا سعيد جداً لأنني هدمت ذلك السور الحاجز بيننا!
=أجبني باختصار أرجوك لا تضع الوقت... من أنت؟
-حسناً.. أنا جلال زوجك يا مادلين!
=مادلين! من هي مادلين؟
-إنها أنتِ؟
=لقد أصبت بفقدان في الذاكرة ولا أعلم أي شيء عن حياتي السابقة... أخبرني عنها قليلاً.
-إنّكِ كاتبة مشهورة "مادلين علم الدين" وقد مر عام على اختفائك.
=عام؟! ، اختفائي؟!.. هل تلك الطفلة بأحلامي هي ابنتي؟!
-نعم.. لابد أن تُنهي التخاطر الآن.. لستِ محترفة به وسلامتك النفسية متدنية للغاية.. لا ترهقي عقلك، سآتي إليك كلما تيسر لي الأمر.

انتهيت منه ولديّ معلومات أوضح عن هويتي، ستساعدني كثيراً على استعادة ذاكرتي وروحي أيضاً!

دخل خورشيد غرفتي عندما عاد لتوه من الخارج، أحضر لي ما طلبت، شكرته بحرارة وأخبرته أنّني استمتعت كثيراً بقراءة الكتب وأن لديّ طاقة في ممارسة الكثير من الهوايات وأنّني أنظر للدنيا بمنظور سعيد أكثر إشراقاً بفضله!

samar ragab

لم أتوقع أن يكون سهل المنال لتلك الدرجة، ألم يحنو عليكَ أي شخص في الحياة قبل ذلك يا رجل!

كدت اسمع صوت قلبه الفرح من حديثي واهتمامي به، استطيع القول بأنني أعلم نقطة ضعف خورشيد الآن،

بحثت كثيراً داخل الكتاب عن حدوث أمر مماثل، أقصد بأن يتم التخاطر بذلك الشكل ويكون الشخص أمامي فوجدت أنه في حالات نادرة عندما يكون التقاء أرواح الشخصين قويا في الواقع من الممكن تخيلهما لبعضهما البعض وكأنّهما في مكان واحد وذلك يدور في مخيلته فقط بمعنى أنه مجرد شيء حسّي ليس إلا.

هذا يعني أنّني وذلك الشخص مقربان لدرجة كبيرة جداً، برغم عدم تذكّري له إلا أن روحي تذهب إليه طواعية!

حفظت كل حرف وقعت عيني عليه في الكتاب، ذهبت إلى المكتب مرة أخرى لأعيده قبل أن يلاحظه خورشيد أو أحد من ذويه.

" مادلين علم الدين" كرّرت الاسم داخل رأسي حتى تذكرت أنني بالفعل قد شاهدت بعض الكتب تحمل ذلك الاسم، عاودت البحث عنها فوجدت روايتين أخذتهم ومعهم بعض الروايات الأخرى ، تفحّصت الرواية الأولى فوجدت أنها تُصنف كاتبة رعب وجريمة، وتتسم بالذكاء الشديد وهنا في أول صفحة كُتِب في تعريف شخصية الكاتبة عن كثب :
-والجدير بالذكر أن الكاتبة متزوجة من الطبيب النفسي اللامع جلال أبو المكارم؛ الجندي الخفي في كتاباتها عن المرضى النفسيين وعقلية المجرمين!

بالضبط مثلما أخبرني ذلك الرجل... إنه جلال زوجي...

أول خطوة في طريقي لمعرفة الحقيقة هي بعدي التام عن تلك الأدوية والحقن التي يعطيني إياها خورشيد باستمرار، صنعت من الورق والألوان شيء مشابه للون جلدي

وألصقتها على ذراعي مكان الوريد بإتقان، أما عن الأقراص فسأجعله يتوهم بأنني قد تناولتها ثم أبصقها بعد ذلك.

جرت الأمور كما خطّطت لها، اهتمامي بخورشيد جعله أكثر مرونة معي وتوقفت ألاعيبهم لفترة استطعت بها أن أستعيد صحتي قليلاً، كنت وقت الإبرة المهدئة أحاول إلهائه حتى لا يشعر بالحيلة التي وضعتها بيدي، وأضع الأقراص تحت لساني وأبصقها بسرعة دون أن يشعر، أفتعل النوم لكي يطمئن أنني تحت سيطرته التامة، كنت أظهر له ما يودّ أن يحدث.

* * * * * * *

samar ragab

غرفة سرية بالمكتبة

لم أكفّ عن البحث المستمر عن خيوط الحقيقة، تنقّلت بين الكتب والمراجع التي تتحدث بشكل أعمق عن التخاطر بين الحقيقة والهذيان، درست الأمر بشكل عميق للغاية، تأكّدت من صحّة الجلسات التي تجمعني بجلال من خلال علامات أكيدة يجتمع عليها العديد من الكتب، تغيري المفاجئ مع الجميع جعلهم يهدؤون قليلاً.. فسرت ذلك بأنني أربكت لهم خططهم وهم الآن في طريقهم لإعداد خطط جديدة!

تسربت بعد منتصف الليل وجميع من بالقصر نيام بهدوء شديد وكأنّني نسمة هواء رقيقة لا تلتقطها أذن، وقفت أمام غرفة المكتب وفتحت بابها ببطء شديد تدربت عليه كثيراً حتى لا يشعر بي أحد، سحبت كتاباً ثقيلاً للغاية من مكتبة خورشيد، صعقت عندما وجدت وراءه زر كبير، عادة ما أقرأ في الروايات أنه إذا وجد أحدهم زر ما وراء كتاب في مكتبة فإنه بالتأكيد يفتح غرفة سرية تحتوي على العديد من الأسرار.

ضغطت عليه فانفتح أمامي باب صغير يكاد يمر من خلاله انسان منحني ضعيف البنية لسرداب صغير، أخذني الفضول والشغف إلى فتحة السرداب لكي أحاول أن أمر من خلالها، طالعت المكان بانبهار شديد، انبهار مخيف... السرداب مليء بصور باللونين الأبيض والأسود والعديد من الكتب والمدونات اليومية بخط اليد مثل التي أدون بها كل شيء ، صور لفتيات في مختلف الأعمار وكل صورة تحمل اسم صاحبتها أُخذت لها وهي نائمة، قلبت الصور فوجدت صورتي، ابتلعت ريقي بصعوبة، دق قلبي بعنف وأنا أتلمس حروف اسمي "مادلين علم الدين"... شعور غريب تملكني كان يشبه لذة الانتصار بمعرفة حقيقة مخبأة منذ فترة، تصفّحت بعض التدوينات لأجد أنها عبارة عن قصص يومية مرعبة مرت بها كل امرأة متواجدة بالصور، كل واحدة لها قصة مختلفة لكنها من طراز قصص الرعب والإثارة، لم أفهم ما المقصد من ذلك كله... حاولت أن أبحث عن المزيد من الأدلة لكي أفهم، وجدت رفاً يحمل العديد من الكتب المطبوعة، ركضت إليه بلهفة لأجد أنه عبارة عن مؤلفات روائية جميعها تحمل اسم كاتب واحد وهو "خورشيد"!

تساءلت بيني وبين نفسي عمّا إذا كان خورشيد كاتباً من الأساس؟

لحظة واحدة... لقد فهمت!

كل اليوميات الخاصة بالفتيات تحولت لروايات مطبوعة تحمل اسم يناسب الحبكة الروائية!

خورشيد يخطف الكاتبات ويجعلهن يعيشن مثلما عشت أنا ليكتبن بدقات قلوبهن الفزعة بإتقان واحساس شديد لا يقارن بخيال أي مؤلف كبير، ثم يقوم بنشر تلك القصص ليصبح شهيراً غنيّاً نظراً للطلب الشديد على تلك النوعيات من الروايات!

سلسته الروائية الشهيرة (النساء والمجهول).. كانت حقيقية تماماً!

داهمني الصداع اللعين مرة أخرى بسبب استطاعتي تذكّر شيء جديد، حاولت أن أقاوم التعب، تذكّرت شيئاً هاماً عندما صدرت لي أول رواية مطبوعة، أخبرني مدير المطبعة أن كاتب الرعب الأشهر على الإطلاق.. "رابح خورشيد" و الذي هو مثلي الأعلى في مجالي، يريد أن يتحدث معي لأنه معجب كثيراً بروايتي ويودّ أن يجمعنا عمل مشترك عمّا قريب!

لم أصدق نفسي ذلك اليوم حينما نظر لأعمالي التي ما زالت في أول الطريق كاتب كبير مثله، تذكّرت أيضاً لكن بشكل مشوش عندما جلست وحدي في أحد المقاهي في انتظاره كما اتفقنا، أخذني الحماس الشديد عندما وجدته يأتي في موعده بالدقيقة، رحبت به بحرارة وأخذنا الحديث فاقنعني أن أذهب معه إلى مكتبه ليناقش معي فكرة عمل جديد مشترك بيني وبينه، لم تسعني الدنيا فرحاً مما سمعته وبالطبع ذهبت معه باستسلام تام بل بإرادة تامة!

زاد الصداع برأسي حتى أنني قذفت الكتب من يدي بعنف فأصدرت صوت ارتطام مسموع بقوة، ضربت الأرض بيدي وأنا أتألم بشدة، ظهرت الخادمة ماريا من العدم، صرخت متسائلة عما أفعله بذلك المكان، لم أجبها ولم أتمكن من النهوض للهرب، تجمهروا أمام باب السرداب واحداً تلو الآخر وهم في حيرة شديدة من أمرهم لأنني اكتشفت السر، تدخل خورشيد وأخبرهم بصوت حازم أنه سيتصرف معي وسيجعلني أنسى من جديد، تحاملت على نفسي قليلاً لمعرفتي بأن تصرفه هذا سيكون بإعطائي إبرة منومة حتى يتسنى له التصرف بينما أنا أغطّ في نوم عميق، حاولت أن أتحرك يمنة ويسرة بشكل عشوائي متكرّر حتى لا يلحظ ذلك الشيء الذي وضعته حائلا بين الإبرة وبين عروق يدي!

اصطنعت النوم والاستسلام فحملني متوجّهاً بي إلى غرفتي، وضعني في فراشي، سمعته يتحدث مع السيدة ناظلي التي قالت بدورها:
-هذا يحدث بسببك سوف نضيع جميعاً أيها الأبله.
=ومن أين لي أن أعلم أنّها بهذا الذكاء كله وستستطيع أن تكشف أمرنا؟
-لا تبرّر موقفك فكلّما تحدث فمك تبين لي مدى غبائك!
=حافظي على مسافة الأدب بيننا أيّتها السيدة!

أيّتها السيدة! ماذا ليست والدته أيضاً؟!!

هتفت الخادمة ماريا بجمود:
-كلنا هنا سواسية سيد خورشيد لا تنسَ ذلك.. كان ذلك اتفاقك معنا من البداية.

صرخت شمس.. لقد مللت وأرغب في الذهاب من هنا في أسرع وقت ممكن فلم أعد أحتمل ذلك.

غضب خورشيد منهن وتغيرت نبرته لتكون أكثر شراً وهو يقوم بتهديدهن ويخبرهن بأن التراجع الآن مستحيل ومن تتجرأ منهن على التفوه بذلك مجدداً سيكون لها بالمرصاد!

كنت أظن أن خورشيد مسلوب الإرادة أمام والدته "الوهمية" فتبين لي العكس تماماً، إنه مخادع حقير وشرير أيضاً، خرج الجميع من الغرفة، تركوني لأتخبط من كم المعلومات الهائل الذي اندفع إلى عقلي في وقت قصير للغاية، بالإضافة إلى ذاكرتي التي بدأت في العودة إليّ رويداً رويداً، حاولت أن أتذكر أي شيء آخر لكن محاولاتي باءت بالفشل الذريع بسبب الصداع الشديد والذي تعودت أن أداويه دائما بالحقن الذي يعطيني إياها خورشيد.. لابد أن أعتاد على أن أتداوى وحدي دون مساعدات خارجية.

غلبني النعاس دون أن أدري... شعرت وأنا نائمة بشيء يضايقني في رقبتي؛ شيء مثل الوخز!

تحسست رقبتي بيدي فوجدت نصل سكين حاد موضوع على رقبتي، فزعت جداً فقاومت ثقل جفوني وفتحت عيوني بهلع لأجد شمس جاثمة فوقي موجهة سكين لرقبتي، حاولت أن أصرخ فهددتني بالذبح إن فعلت!

برعب فظيع سألتها لماذا تفعل بي هكذا فأخبرتني وهي تضغط على أسنانها بعنف أن السبب هو حبّ خورشيد لي وهي التي وافقت أن تفعل أي شيء من أجل أن ينظر إليها ويحبها.. لأظهر أنا ويقع في غرامي متجاهلاً أمرها تماماً!

توسّلت إليها كثيراً أن تتحلّى ببعض الحكمة.. لم أكشف أوراقي أمامها لأنني لا أريد أن أقع فريسة لخطة جديدة فمن الممكن أن يكون فعلها هذا مدبر ومخطّط له جيداً ليتأكّدوا من مدى معرفتي لحقيقتهم .

رُحت أتحدّث إليها بشكل عفوي نجحت في إظهاره لها فقلت لها بأن حبّ خورشيد لي شيء وحبّه لها كشقيقته شيء آخر لكنه بالتأكيد الحب الأهم لأنّه فطري يولد مع المرء و هو رابطة قوية للغاية لا يعادله أي حب يختاره الإنسان لاحقاً.

هبطت على وجنتيّ بكفوف متلاحقة قوية أدمت شفتاي وهي تهذي بجنون:
-أنا أجمل منكِ... أنا الأصغر، أنا أستحق قلبه وعقله وبيته وكل شيء يخصّه سوف أقتلكِ، سوف أتخلص منكِ أيتها الساقطة، جميعهن قدموا إلى هنا ورحلوا دون أن يرفّ له جفن حتى أتيتِ أنتِ لتأخذينه مني!

حاولت أن أصرخ ليخلصني أحدهم من بين يديها ثم قررت أن أتحمّل لأنها ستكون منقذتي من ذلك القصر إذا تعاملت معها بحكمة وذكاء!

باغتها التعب والإرهاق فسقطت بجواري على الفراش وهي تبكي بطريقة هيسترية، كنت أتألم كثيراً.. لكني لن أضيع تلك الفرصة أبداً، حاولت أن أكون هادئة وأنا أقول لها:
-أنا لا أحبّه.. خلصيني من هنا ويعود لكِ ثانية مثلما كان بل سأجعله يعضّ أصابعه ندماً على حبه لي!
سكنت قليلاً ثم جلست بهدوء لتستمع إلى بقية حديثي باهتمام فحاولت أن أنتقي الألفاظ حتى لا أثير غضبها من جديد، هتفت بحذر:

-صدقيني أنا لا أريد حبّه ولا أريده ولا أريد البقاء هنا من الأساس ساعديني على الهرب ولن أتحدث إلى أي شخص كان عمّا حدث لي هنا أبداً... سأستمر في قول أنّني فقدت الذاكرة بالكامل ولا أذكر أي شيء أو شخص في الفترة الأخيرة.

قلّبت عينيها يميناً ويساراً وكأنّها تفكر في عرضي لها، أجابت بخفوت ونبرة مخيفة:
-فليكن.. سأفكر في خطة مُحكَمة حتى مساء الغد!

* * * * * *

samar ragab

خطة الانطلاق

في صباح اليوم التالي.. هبطتُ إلى قاعة الطعام بعفوية متصنّعة النسيان.. نسيان ما حدث بالسرداب وكل شيء قد يتعلّق بالليلة الماضية كي يطمئن الجميع.

نظرات شمس النارية لي كل لحظة جعلتني في ريب من أمري، هل تراجعت عن اتفاقنا المبرم بالأمس؟ هل هي خطة مدبرة ضدي؟

هتف خورشيد متسائلاً عن سبب الكدمات والجرح الصغير بشفتيّ، ازدردتُ لعابي بتوتر بالغ، سعلت مفتعلة أن الطعام وقف بحلقي حتى أكسب الوقت لأفكر برد ينقذني، ما كان لي سوى اختلاق قصة مثل تلك التي عانيت بها منذ أن عدت لوعيي بينهم!

ناولني كوباً من الماء، بعد أن أخبرته أنني أصبحت بخير ولا داعي للقلق، حاولت أن تكون نبرة صوتي واقعية غير مصطنعة وقصصت على مسامع الجميع قصتي الوهمية:

استيقظت بعد منتصف الليل.. فزعة على ذلك الصوت الذي ينبعث من مرآة غرفتي، كان صوت يشبه البكاء... بكاء امرأة، نهضت كالملسوعة لأتبيّن سبب ما يحدث، اقتربت ببطء من المرآة لأطالع مشهداً من أفزع وأقوى مشاهد حياتي رعباً.. وجدت صورة في المرآة لامرأة مكومة حول نفسها تبكي بحرقة، نبضات قلبي في ذلك الوقت كانت تشبه طبول الحرب، أنفاسي مضطربة؛ تارة كنت أشعر بأنني أختنق وتارة أخرى أتنفس بشكل سريع مؤلم للغاية، تجرأت أخيراً و سألتها عن كيفية وجودها بالمرآة ولماذا البكاء من الأساس؟

رفعت المرأة رأسها ببطء فوجدتها نسخة طبق الأصل عني... إنها أنا!

عدت للخلف بخطوات سريعة والهلع قد تمكن مني بشكل كبير، ضحكت المرأة بهيستريا وهي تشاهد خوفي وردات فعلي التي بدت بالنسبة لها موقف كوميدي شديد البهجة!

استيقظت وأنا أصرخ بأعلى صوتي من شدة ما عانيته في منامي من خوف رهيب!

سقطت من فراشي بعنف، ارتطم وجهي بالأرض فكان لي نصيب جيد من تلك الآثار والجروح!

-يعني ذلك أنني كنت في كابوس في النهاية ليس إلا!

انتهيت من جملتي الأخيرة ثم تبعتها بضحكة مرتفعة وكأنني ألقيت عليهم مزحة، لكنهم تبادلوا النظرات لبعضهم البعض، استطعت أن أفسر تلك النظرات على أنها فكرة جيدة للغاية، لماذا لم تخطر ببالهم لينفذونها عليّ!

لم يضحك أحد غيري فالتزمت الصمت بقية الوقت حتى انتهى الجميع من الطعام وتوجّه كل شخص إلى عمله ووجهته، مرت بضع الدقائق وشاهدت خورشيد ملقى على الأريكة تجاوره السيدة ناظلي والعمة فكرية، والخادمة ماريا مثلهم لكن في المطبخ حتى أن عامل الحديقة قد نام هو الآخر!

أخبرتني شمس أن تلك هي الخطة.. ستضع في غرفتي بعض الأدوية التي سرقتها من غرفة خورشيد والتي تسبب النعاس على أن أكون أنا السارقة التي وضعت لهم المنوم في الطعام لكي تستطيع الهرب!

سألتها بديهيا.. وكيف لم أنم أنا الأخرى، نظرت لي نظرة تفيد بأنني غبية لذلك السؤال الأغبى ! بالتأكيد كانت حذرة في كل شيء ودقيقة في حساباتها لكل ركن بالخطة.

أرشدتني على الطريق الذي سيأخذني لأقرب مكان قد تمرّ منه السيارات ثم تخلي مسئوليتها تماماً عمّا سيحدث معي لاحقاً.. لابد أن أعتمد على نفسي في ذلك الجزء من الخطة!

أكلت هي الأخرى بعض اللقيمات من الطعام الذي يحتوي على الدواء المنوّم ليكون الأمر طبيعيا وتنام مثلهم، صعدت بسرعة إلى غرفتي لآخذ أوراقي ثم ركضت لخارج القصر... بالأحرى خارج الجحيم!

لففت حقيبة الأوراق حول خصري بإحكام ثم ركضت بسرعة وقوة متبعة إرشادات شمس، لقد كان الأمر أصعب مما تخيّلت، الشمس تضرب رأسي بلا رحمة، تمكن الإرهاق من جسدي بقوة، شعرت بالدوار الشديد، لكن عزمي وإصراري على تحرير نفسي من قضبان ذلك السجن الظالم أهله جعلني أتحدى كل ذلك وتحاملت على نفسي حتى خرجت أخيراً من الغابة وقد غابت الشمس وأسدل الليل ستاره على الأرض، وصلت إلى الطريق لكن قواي قد خارت بالكامل فسقطت في منتصف الطريق مغشيّاً عليّ!

بجفون متثاقلة فتحت عيوني لأجدني ممدّدة على سرير في مشفى ما، وزوجي يجلس نائما على المقعد المقابل لفراشي، سعلت بشدة فاستيقظ متلهّفاً خائفاً عليّ، نظرت مليّاً إلى وجهه كان مثلما شاهدته في خواطري وأحلامي بالضبط، بكيت بحرقة عندما رأيته مجدداً بعدما عايشت أشد وأقسى أنواع العذاب في ذلك القصر، لم أكن لأتخيل بأنني سأنجو منه.

احتضنني بحنان ورقة، آهٍ على ذلك الشعور الذي غلف روحي وقلبي عندما كنت بين يديه في تلك اللحظة؛ شعور بالأمان يطغى عليه شعور آخر يشبه الحنين لإنسان لأول مرة تراه في الواقع بعدما تفقد ذاكرتك!
وتكون مثلما أنت قبل فقدانها؛ تحبه وتحنّ إليه وكأنك لم تنسَه للحظة.

أخبروني فيما بعد أن أحد الأشخاص قد وجدني في حالة يرثى لها في ذلك الطريق ثم نقلني إلى المشفى، علموا من المواصفات التي تُركت لهم مثلما تركت لجميع المشافي من قِبَل زوجي أنني المفقودة الذي يبحث عنها فأخبروه للمجيء فتعرف عليّ بالفعل، أخذت الشرطة أقوالي بعد حوالي ثلاث أيام من تواجدي بالمشفى وتوجهوا على الفور إلى ذلك القصر ليجدوه خالياً تماماً ولا يوجد به أي شيء قد يدلّ على الحياة!

أخذني الضابط المسؤول عن القضية إلى القصر، أصابتني رجفة هيسترية عندما طلبوا منّي ذلك لكنهم حاولوا طمأنتي بوجودهم المكثف لحمايتي، وافقت على مضض وذهبت برفقتهم، تعرفت على القصر وشرحت لهم تفاصيل الأحداث التي عشتها به، أخذتهم أيضاً إلى السرداب.. وجدوه فارغاً تماماً!

بالنهاية وبعد بحث مكثف عن المدعو "رابح خورشيد" الكاتب المعروف، أُغلِق ملف القضية لحين القبض عليه أو حدوث أي جديد!

ساعدني جلال كثيراً على التعافي، استرددت ذاكرتي بروية مع الوقت، غمرت ابنتي ليلى بحبٍّ نبع من قسوة حرماني منها لعام كامل!

تبقّى شيء واحد لم آخذ قرار نهائي فيه.. هل أقوم بنشر تلك الأوراق أم أُبقِ عليها في أحد أدراج غرفة مكتبي؟

على أي حال إن قررت نشرها سأفعل ذلك من أجل أن أحذّر الناس من ذلك الكاتب السفاح المتخفي برداء الشهرة وحب الملايين وأكشف حقيقته اللعينة، لا أستطيع أن أتسبب بكتماني للأمر في خطف امرأة أو فتاة جديدة ، تعيش الأهوال التي عشتها أنا لمجرّد أنها تكتب!

* * * ** * **

samar ragab

لحظة الحقيقة

صيف 1940...

-أمي.. أمي

صدح صوت مادلين مجيبة على نداءات ابنتها المتكررة:
-أنا هنا حبيبتي في غرفة المكتب.

اقتربت إليها الفتاة ثم قبلت جبينها متسائلة:
-رواية جديدة؟

=نعم أعمل على شيء جديد لكنه سيكون أفضل ما كتبت على الإطلاق... لكن أخبريني ما سبب تلك الفرحة التي تتراقص على محياكِ؟

-هل تتذكرين ذلك الشاب الذي أحدثكِ عنه باستمرار؟

أصدرت ضحكة ناعمة قبل أن تجيبها بتحازق:
-وهل يخفى القمر... ما به؟
=يريد أن يقابلك أنتِ وأبي الليلة على العشاء.

-الليلة! لكن يا عزيزتي لم نتجهز بعد للقائه كما أنه ليس من المفترض أن يأتي إلينا ولم نفكر في تفاصيل العشاء والتجهيزات.

=لا عليك يا أمي... اتركينا من تلك التفاصيل الغير مهمة... رياض لا ينظر إلى المظاهر أبداً فلنرتب شيئاً بسيطاً أرجوكِ.

samar ragab

-وهل أستطيع أن أتحمل أن يحزن هذا الوجه الملائكي؟ لكِ ما تريدين يا حبة القلب.

حضَّرت مادلين طاولة فخمة في وقت قياسي، كما تحضرت بفستان أزرق أنيق ينم على شخصية سيدة مجتمع راقية، على النقيض بالنسبة لابنتها التي تفضل البساطة في كل شيء فاختارت أن ترتدي فستان بسيط باللون الأبيض، جلس جلال ببذته الرسمية الأنيقة في غرفة الضيافة في انتظار ضيف الليلة الذي وصل في موعده المضبوط بالدقيقة، حاملاً باقة من الزهور البنفسجية الرقيقة وزجاجة نبيذ أحمر ملفوفة بربطة هدايا عصرية، تسامر الشاب مع جلال واتضح على هيئتهما الانسجام والتفاهم، ذهبت إليهما مادلين لترحّب به وتخبرهما أن الطاولة جاهزة في انتظارهما، استدار الشاب ليكون في مواجهتها، وقعت أنظارها عليه فتجمدت مكانها في رعب وهلع، عادت بعض الخطوات إلى الخلف ببطء، لم تتحمل أعصابها المفاجأة فسقطت مغشياً عليها!

استطاع زوجها الذي ركض إليها بخوف متلهّفاً أن يعيدها إلى وعيها متسائلاً عن سبب ارتفاع ضغط الدم لديها لتلك الدرجة، تمالكت أعصابها، قالت وهي تتناول حبة الدواء:

-إنه الجوع فقط لأنني لم أتناول شيء منذ الصباح وأصابني الإرهاق أيضاً في بعض أعمال المنزل... اعتذر كثيراً عما حدث ومقابلتي لك بتلك الطريقة عزيزي رياض!

هتف متوددًا:
-سلامتك سيدتي أهم من أي شيء.. أنا أفضل الذهاب بعد الاطمئنان على صحتكِ ولنا موعد آخر فيما بعد!

رفضت مادلين ذهابه وأصرت على أن يقضي معهم الليلة كأن شيء لم يحدث وأخبرتهم جميعاً أنها أصبحت على ما يرام بعد تناول الدواء.

جلس الجميع حول المائدة، أبدى الشاب اعجابه الشديد بجودة الطعام، أخذهم الحديث لمناطق كثيرة أظهرت انسجامه معهم، أخرجت مادلين تلك الأفكار التي هاجمت رأسها من تفكيرها عندما تأكدت بأنه مجرد تشابه في الوجه لا أكثر.

دخلت الفرحة قلب ليلى لأن من أحبته بشدة يُظهِر توافقاً كبيراً مع والديها، صاح رياض بنبرة ذات مغذى:

-هل تعلمين سيدة مادلين أنني من معجبيكِ الأشداء وقد قضيت فترة مراهقتي وشبابي بين صفحات مؤلفاتك؟

شكرته مادلين بود فأكمل حديثه قائلاً بصوت خافت:
-خصيصاً رواية "آل خورشيد"!

سعلت مادلين بقوة من شدة توترها فناولها جلال كوب ماء مسرعاً فأخبرته أنها بخير، هتف الشاب متابعاً:

-تابعت بنهم وشغف حديثك بالصحف عن أحداث الرواية وأنها حقيقية تماماً وأنكِ قد تناولتِ كتابتها يومياً بعد كل حدث، يا له من أمر مروع أن يعيش الإنسان مثل تلك الأحداث.. أحييكِ على قوتك حقاً!

تصبب العرق من جبهتها وهاجمتها نوبات اختناق داخلية لا يشعر بها شخص على المائدة سواها، أنصت الجميع له حين أخذه الحديث بلا توقف بحماس شديد:

-لكن هل تسمحين لشخص من جمهورك الكبير.. شخص قد قرأ الرواية مئات المرات ولا أبالغ بالعدد لأنني وقعت في حب تلك الرواية بالتحديد من أول حرف، المهم... هل تسمحين لي بأن أستوقفك عند نقاط معينة شعرت بها بشيء من الحس الأدبي والحبكة الروائية الخالية من الواقعية!

وضعت مادلين يديها تحت ذقنها لتستند بهما على الطاولة وهي تستمع إليه برعب حقيقي حاولت أن تواريه عن أنظار الجميع، هزت رأسها بعلامة الموافقة فاستأنف رياض حديثه:

-مثلاً عند نقطة التخاطر.. كان ذلك الفصل غريباً مبهماً بالنسبة لي وأريد إجابة واضحة من السيد جلال تلك المرة.

نظر له جلال بتعجب، وضّح رياض مقصده قائلاً بثقة:

-هل ينجح ذلك الشيء الذي يسمى تخاطر معك لتلك الدرجة... أقصد لدرجة أن تتجسد أمامها وتتحدثي إليها وكأنكما بمكان واحد!

ضبط جلال نظارته الطبية قبل أن يجيب بأسلوب علمي بحت:
-انظر يا رياض.. لقد أعجبتني شخصيتك بشكل مرعب فأنا لا أنجرف هكذا لأي شخصٍ كان ولهذا فإن متعة الحديث معك كبيرة للغاية وأرغب في مناقشتك بكل شئ لأنني واثق بأنه مازال في جعبتك المزيد من المعلومات والأشياء الذكية... أما عن أمر التخاطر فإنه بالفعل قد يحدث ما هو أقوى من ذلك بين روحين تجمعهما رابطة روحانية قوية جداً لكن ما حدث مع مادلين كان غريباً فأنا لم يخطر بذهني أن أستخدم التخاطر معها على الإطلاق لأنني كنت بحالة من الحزن قيدتني عن التفكير حينها بشكل سليم... وقد تحدثت مع مادلين بالفعل في تلك الجزئية فيما حدث معها لكنها لا تمتلك تفسيراً لذلك كما أنني بحثت كثيراً ولم أصل لنتيجة واضحة!

ابتسامة جانبية اعتلت ثغر رياض قبل أن يهز رأسه متفهماً، قال ممازحاً:

-هنالك العديد من النقاط بتلك الأحداث خارجة عن المألوف.. مثلاً إذا كان رابح خورشيد رجلاً ذكياً لتلك الدرجة، يضع الخطط ويصنع الفخوخ لضحاياه من الكاتبات فلماذا لم يكتب رواياته بيده فتلك الخطط لا تخرج إلا من عقل عبقري! حتى وإن قلنا بأنه يفكر جيداً ولا يجيد صياغة أفكاره فكما نعلم أنه هنالك الكثير من الأشخاص الذين يركضون وراء رغيف الخبز كان من الممكن الاستعانة بشخص يصيغ له أفكاره على الورق... والكثير بعد من النقاط استوقفتني فمثلا...

زاغت نظرات مادلين بتوتر رهيب، فقاطعته مسرعة:
-غير معقول يا رياض.. هل سنقضي الليلة نتحدث عن الرواية؟

ثبت أنظاره بعينيها مباشرة ثم صاح بنبرة مهددة خفية:
-رواية أم واقع عايشتِه؟

كورت قبضتها بغضب بالغ، حاولت تمالك أعصابها بقدر المستطاع، لم تجبه وهتفت بصوت مهزوز تطلب من ابنتها جلب قنينة النبيذ الذي أحضرها رياض معه ليتذوقونها في محاولة منها لتغيير مسار الحديث الذي أشعرها بالموت البطيء

طلب رياض من ليلى أن تناوله كوباً من الماء لأنه لا يحب النبيذ مطلقاً وإنما أحضره فقط لأنه علم منها أن والديها عاشقان له فقرر أن يُحضر إليهما نوع فاخر من إحدى البلاد الأوروبية التي تشتهر بصناعتها المميزة له
تناولت مادلين كوباً وراء الآخر بسرعة وتوتر كبير مما جعل زوجها وابنتها يتعجبان لأمرها لكنها كانت في أسوأ حالتها ولا ترى أمامها شيء أو تسمع عدا عن صوت ذلك الضيف الثقيل.

أنّات متتالية خرجت من فم مادلين وكأنها تصارع وحشاً غاضبًا في منامها، صرخت وجسدها ينتفض لتستيقظ وتجد نفسها مقيدة على مقعد بجوار زوجها وابنتها المقيدان مثلها تماماً لكنها آخر من استيقظ بينهم!

صرخت برعب متسائلة عما يحدث فصرخ بها رياض أن تصمت وإلا ذبحها وعلق عم ٦غغرأسها على باب منزلها، كتمت بكائها فضحك قائلاً:

-وها قد اجتمع العدد.. لنبدأ السهرة من جديد، بالمناسبة لم نتعرف جيداً نسيت أن أخبركم اسمي بالكامل... رياض خورشيد.

جحظت مقلتيّ مادلين، ابتلعت ريقها بصعوبة، قلبها يكاد يخرج من مكانه.

-نعم.. نعم سيدة مادلين إنني من آل خورشيد الحقيقين وليس المزيفين داخل قصتكِ المريضة!

رابح يكون أخي! أخي الذي دمرتِ حاضره ومستقبله وشوهتي سمعته بعدما كان شهيراً يحبه المئات م البشر.

هتفت مادلين بحذر:
-إن شقيقك كان مختل.. لقد عشت بسببه أسوأ أيام عمري...

قاطعها بغضب كبير:
-اخرسي، أيتها الساقطة سوف أقطع لسانكِ إن كذبتِ مرة أخرى.

جذب ليلى من شعرها بقوة، وضع السكين حول رقبتها مهدداً مادلين بإصرار لكي تخبره الحقيقة كاملة وإلا ستلحق ابنتها بشقيقه!

صرخت بفزع، توسلته أن يتركها وأخبرته بأنها ستقص عليه الحقيقة كاملة دون زيادة أو نقصان.

تركها قاذفاً إياها بعنف على حد في ٥ڤققققق٤الأريكة وجلس مقابل مادلين ليستمع إليها وهي تتعرى تماما من ثوب الكذب مد يد والخداع الذي ارتدته لسنوات لتظهر أمام الناس على أنه ضحية بريئة!

شرعت مادلين بالحديث بنبرة باكية مهزوزة:

تمت-منذ اثنان وعشرون عاماً كانت هناك مسابقة لاختيار أفضل قلم قد يشارك الكاتب الكبير رابح خورشيد في سلسلة مؤلفات طويلة دعماً منه للمواهب الشابة، كانت تلك المسابقة عبارة عن روايات وقصص تُعرض على لجنة التحكيم الذي كان خورشيد أحد أفرادها، فرحت كثيراً فلربما أنال ذلك الشرف وأكون أحد الرابحين وأغتنم تلك الفرصة، انتظرت حفل تقييم الأعمال المقدمة بفارغ الصبر لأجد نفسي أضحوكة الحفل!

ذلك الحقير خورشيد جعلني كالقماشة البالية لأنه مسح بكرامتي الأرض والجدران أمام الحاضرين، نعتني بالفاشلة وأخبرني بأن أضع أوراق الرواية تحت الطعام بعد أن أطهوه عله يكون وقتها ذات فائدة!

لم استطع أن أخرج من تلك الصدمة النفسية البشعة، حتى أنني خفت من إخبار زوجي بتلك الحادثة وحمدت الله أنه لم يكن متواجد بالبلاد في ذلك الحين، لم أكن لأتحمل ذلك الإذلال أمامه، أكلت نار الانتقام الأخضر واليابس بداخلي، أعددت خطتي وعزمت

على تنفيذها بدقة وهدوء، أقسمت لنفسي بأن آخذ ثأرها وأن أثبت له أنني أذكى مما يتصور وأنني أستطيع كتابة أي شيء حتى الواقع سأكتبه وأقنع عموم الناس به وسأجعله بطل روايتي وسيبصق الناس فوق جثته، كان داخلي يحترق من الألم كل ليلة لكن بمجرد أن أتذكر أنني سأنتقم منه يثلج صدري وتهدئ روحي.

توددت إليه، بعد أن راقبته في كل مكان، حفظت كل شيء عن حياته، موعد خروجه ودخوله، طعامه وأماكن سهراته ونزواته، كل شيء مهما كان بسيطاً قد دونته بعقلي وحفظته كاسمي، تواجدت بكل مكان أمامه حتى أصبح وجهي مألوفاً بالنسبة له، تواجد جلال معظم الوقت في عمله بالخارج سَهَل عليّ الأمر كثيراً، بدأ خورشيد يلاحظني حوله، بادر بالحديث معي بأحد الأيام في مقهى شهير، لم يتذكر أنه جعلني أضحوكة لعينة بين الناس، لم يتذكر مقدار الألم الذي سببه لي، يا له من وغد كم أكرهه!

عندما تكررت اللقاءات بيننا أوهمته بأنني عزباء وحيدة وأنني أحلم برجل مثله في حياتي، وقع ذلك الأبله بغرامي، أخبرته بأن أبي يريد مقابلته بالقصر الخاص به في منطقة نائية قليلاً لكنه لا يخرج منه، وافق على الفور واصطحبته إلى هناك، كنت أعطيه الأدوية المنومة والمهدئات التي تجعله متيبساً غير قادر على الحراك!

كنت أتحدث إليه وأذكره بذلك اليوم يومياً، وكنت أقرأ عليه كل فصل أنتهي منه وأسدد إليه اللكمات حينما يقابل قراءتي بالصمت

صمته كان نابعاً من تلقيه العلاج الذي يجعله كالجثة لكني لم أرحمه وإن عاد للحياة مرة أخرى سأفعل به ما فعلته دون ندم!

كانت نبرتها تتغير كل دقيقة لتصبح أكثر شراً لكن في تلك النقطة تحديداً من حديثها تزايد الشر والتوعد بصوتها حيث قالت:

-لقد استطاع أن يخدعني ذلك الأحمق.. كتب نهاية القصة مبكراً حين استطاع أن يوهمني بأنه يتناول أقراصه التي أدسها بفمه حتى استعاد وعيه وادراكه وقوته وهرب من القصر ليتركني محاصرة بين أفكاري وخوفي من أن يخبر الشرطة بكل شيء لذلك قد اضطررت لإنهاء القصة سريعاً بذلك الشكل... بأنني أنا من قامت بالهرب منه.

استعنت بصديقاتي وكنت على يقين تام بأنهن سوف يخبرن الشرطة حول ما كنت ألقيه على مسامعهم يومياً من ملاحقة ومضايقة ذلك الكاتب لي!

هذا كل شيء.. ولا أعلم حتى الآن إلي أين ذهب إلى أن قرأت خبر وفاته بالصحف ذات يوم!

صرخ رياض بغضب:

-أيتها العينة! لقد ضاع أخي بسبب غرورك وجنونك.

اهتز صوته وبكى دون وعي وهو يكمل حديثه:

-كنت أحب أن أستذكر دروسي في ذلك الكوخ البعيد عن المدينة حتى أستطيع التركيز، دخل خورشيد عليّ اليوم وهو يرتعد خوفاً وتعباً، قمت بخدمته أسبوعاً كاملاً بلا كلل أو ملل، كنت أذرف الدمع كماء النار على حالته المزرية، لقد كان خورشيد بالنسبة لي الأب والأم والأخ وكل شيء بالحياة لم لديّ سواه!

استطاع بعد فترة أن يستعيد صحته وقص عليّ كل شيء من البداية إلى النهاية، لكن قد فات الأوان لقد أصبح أخي علكة نتنة في فم الناس وحبر أسود على ورق الصحف، كان على يقين بأن الشرطة لن تصدقه مهما فعل وليس لديه دليل على صدق حديثه ومن ركض أولاً يبكي ربح عطف الناس!

قد تعود رابح على تلك الحقن اللعينة فكان كمدمني المخدرات، كان يكسر كل شيء حوله، ويعنفني بقسوة حينما تأتيه نوبات التشنج لاحتياجه للحقنة، عجزت عن مساعدته وأنا طالب الثانوية الصغير... عهدته دائما القائد والمتحكم بكل شيء وعندما أتى دوري لتولي القيادة لم أستطع فعل شيء .. تركته يموت ببطيء أمامي، لقد انتحر أخي.

قال جملته الأخيرة وسقط في الأرض منتحباً بصوت يقطع نياط القلب، فز واقفاً فجأة، اتجه ناحية مادلين وراح يخنقها بكلتا يديه وهو يصرخ... تدخل بعض رجال الصحافة المنتشرين بزوايا الردهة دونما أن يلاحظهم أحد ليستطيعوا تدوين اعتراف مادلين الصوتي

والمكتوب وأخذ الصور لها، خلصوها من بين يديها بأعجوبة، راحت تلفظ أنفاسها بصعوبة، حرر الرجال زوجها وابنتها ثم انتظروا الشرطة لتبت في أمرها.

طلقها جلال... لم يتحمل أن تكون زوجته بذلك الشكل الإجرامي، قاطعتها ابنتها التي كانت تراها مثلها الأعلى بالحياة كما أصابتها حالة اكتئاب حادة لازمت غرفتها لشهور لم يتركها رياض حتى برغم اهانتها المتكررة له، صارحها عدة مرات دون ملل بحبه الأكيد لها فهو أحبها دون أن يقصد في انتقامه!

أصدرت الشرطة قرار بفتح التحقيق مجدداً في قضية الكاتب "رابح خورشيد" الشهير بـ خورشيد، والذي على إثره تم حبسها بعض السنوات وأن تدفع مبلغاً مالياً ضخمه لشقيقه الأصغر تعويضاً عن السبّ والقذف والكذب والافتراء والتشهير بسمعة شقيقه.

تعدّدت اللقاءات الإذاعية والصحفية مع رياض فكانت آخر كلمة يقولها في لقاء "لتُكتب نهاية جديدة لرواية آل خورشيد المكتوبة والحقيقية أيضاً بيد أحد أفرادها".

samar nagab

أسرار حياتي الماضية قبل مقتل خورشيد

أنا مادلين علم الدين.. الكاتبة الشهيرة أكتب إليكم سيرتي الذاتية وحقائق لابد وأن تظهر للعلن سأخطها بكامل تفاصيلها دون زيادة أو نقصان ..
لكن وصيتي الوحيدة أن تُفتح بعد موتي.

سأبدأ روايتي الجديدة باعترافات حصرية وخطيرة، أود أن أزيحها عن كاهلي لأنام دون أن تداهمني الكوابيس كل ليلة، لقد تحولت إلى وحش متحجر القلب لا تعرف الشفقة له عنوان دار..

أريد أن أبوء بذنبي وأعترف بخطيئتي العظمى، على مدارِ عشرون عاماً أو يزيد كلَّل ذلك الذنب عنقي فأثقله، أصبحت منحنية القامة، أخشى أن أرفع رأسي فيصيبني سهمُ غاضبٌ مِن الله انتقاماً لِما فعلتهُ ...لقد اقترفت ذنباً لا يُغتفر، قررت أن أعيد صياغة كل شيء كذبتُ بِه، قررتُ أن أنشرَ الحقيقة، لن أهرب بجسدي أو روحي من العقاب، سأقف وأواجههُ بكلِ قوةٍ حتى لا يتسنى لي الحصول على أي شفقة من أي أحد، شفقة لا أستحقها، أنا مجرِمة لا تستحق سوى القتل!

ليت الزمان يعود لأركُض بِكل قوتي نحو بابِ الهروب من نفسي، ألفُ عنقي بكلمة لا وكأنها قلادة.

ليته يرجع لأُعيد بعض الأمور إلى نصابها، وأعيد نفسي إلى حجمها الطبيعي قبل أن تحرقها نيران ظالمة أشعلتها بيديّ.

يا زمان عُد .. ولا تكن قاسياً فلقد تعلمت الدرس جيداً، لن أخطئ مرة أخرى، أعدك بذلك... لكن عُد لأجلي وإن كنت لا أستحق!

أقسم بأنني كنت نفسي دائماً!

لم أتجمل ولم أتحول إلى شيء أرفضه رغم الأزمات.

كنت النور لمرآتي المظلمة.

كنت صوت الذات حين أصاب الجميع الخرس.

كنت مشهد محذوف من قصة تمس بالحقيقة.

كنت عقدة غليظة في رداء أحدهم كلما حاول حل وثاقها تشابكت أكثر فأكثر.

كنت الكثير لكنني أكتشف بالنهاية أنني كنت مخطئة ولم أكن في كل المرات نفسي! ولم أكن أشبهني!

لم أكن أشبهني أبداً... مادلين الصغيرة البريئة كيف لها أن تفعل ذلك، تخطف وتُزَوِرُ الحقائق وتتسبب بمقتل أناس أبرياء!

البداية...

كنت أركض بخفة في باحة الدار، أحتضن دميتي الصغيرة بتملك شديد ...حينما شاهدت جلال لأول مرة، شاب وسيم، رزين الخطى والحركة، مُقِل بالحديث، كنت آنذاك طفلة كبيرة مدللة بشدة كلما رغِبَت بشيء حصلت عليه، تخطيت الخامسة عشر وماز لت أحتضن الدمى لفرط شعوري بالأمومة، لم أكن لأتخيل بأنني سأصبح عقيم لا تستطيع جلب روح مشتقة من روحها إلي الحياة!

samar ragab

بدأ الأمر حين تزوجت من جلال، كنت سعيدة للغاية بل كانت الكرة الأرضية بأكملها تدور حول منزلنا، مر عام تلو الآخر.. حتى زاد رصيد السنوات حتى أصبحت خمس دون إنجاب!

هاجت أمواج غضبي وحزني عندما أجمع كل الأطباء على حالة العقم القوية التي لا علاج لها لديّ!

دللّني زوجي وأظهر حبائل حُبه المتينة لي كل لحظة، أخبرني بكل صدق بأنه لا يريد سواي من الحياة وبعد الحياة!

لم أحمد الله على نعمة وجوده وتقبله للأمر.. تقبله لفكرة عدم حصوله على طفل يحمل اسمه من صلبه ودمه، روحت أفكر وأفكر... سأحصل على طفل مهما كلفني الأمر، حتى لو اضطررت أن آخذه بيدي من رحم أمه!

كان جلال دائم السفر لانشغاله بأعماله، كنت أحترق وحدي بسبب الوحدة والعجز، قررت أن أتصرف في إجازته القادمة لن أؤجل الأمر أكثر من ذلك.

بتوتر رهيب وقفت أمامه وحاولت أن أتماسك، أخبرته بصوت متهدج مضطرب أنني حامل!

بدا على وجهه إمارات التعجب والصدمة، تابعت حديثي مسرعة وأنا أتصنع السعادة الغامرة، حشوت برأسه كلمات مثل :

-إنها معجزة يا حبيبي.. لقد مَنّ الله علينا واستجاب لدعائي وتوسلاتي وبكائي كل ليلة.

أشرت على معدتي وقلت له بدموع مستعارة:

Samar Nagah

-هنا ينبض حبنا وحلمنا ومستقبلنا.

ركض جلال نحوي بفرح شديد، احتضنني بلهفة وصوت صراخه يملأ أرجاء المنزل، بكى أمامي لأول مرة من فرط سعادته وعدم تصديقه للأمر لكنه بالنهاية تيقن أن تلك إرادة الله وأن الله القوي على كل شيء قدير.

سعادته مزقت قلبي وأحشائي لأنني تأكدت بأنه يتمنى بالفعل أن ينجب، وكل عباراته السابقة وردوده المصطنعة فضحتها فرحته بما سمعه مني "مثل"

-أريدك أنتِ، لا يهمني الأمر، يكفي أننا بخير وبصحبة بعضنا البعض، لا أفكر في الموضوع برمتِه!

عندما طلب مني أن نذهب إلى الطبيب رفضت بشدة متعللة بأنني بالفعل أتابع الحمل مع طبيبتي التي تشعرني بالراحة والطمأنينة ولا أريد أحداً غيرها، امتثل لطلبي وتركني على راحتي، ذهب معي عدة مرات إلى تلك الطبيبة التي قامت بتمثيل دورها باحترافية شديدة مقابل المال، بدا الأمر أمامه طبيعيا للغاية حتى يوم ولادتي كان يسير بشكل عادي روتيني كباقي النساء الحوامل!

ذلك اليوم لن أنساه ما حييت...

أقنعت الطبيبة زوجي بلزوم ولادتي القيصرية بالمشفى، في تلك الأثناء كانت قد اتفقت مع إحدى الممرضات لتقوم بخطف أحد الأطفال في نفس لحظة ولادتي المزيفة، لتضعه بجانبي دون أن يشعر أحد بذلك، كانت الممرضة على عجلة من أمرها، ترتعد خوفاً، ارتبكت فبدلاً من أن تأخذ صبي كما طلبت منها، سرقت فتاة!

يا لحظي! في ذلك اليوم كنت أموج من شدة الغضب، لكن الطبيبة أقنعتني بأن أرضى بالفتاة على أمل أن نكرر الأمر لاحقاً... نعم فلقد أصبحت من ذوات الخبرة في الشر والتخطيط!

مقابل فرحة جلال وشعوري الطاغي بالرضا المسلوب قسراً من كبد الحياة الدنيا، كانت هنالك أم مكلومة تصرخ بصوت يهز الأبدان لفقدها قطعة من قلبها!

لم تزدني تلك الصرخات إلا استمتاع ولذة، فلماذا تصرخ هكذا وهي التي تستطيع أن تنجب كل سنة طفل جديد، إذاً ماذا أفعل أنا لأنني لن أستطيع أن أجرب إحساسها أبداً!

ذلك ظلم شديد... كنت متجبرة ظالمة، نسيت أن الله رزقني بالكثير من النعم التي افتقدتها تلك الأم المسكينة التي باعت أرضاً زراعية كي تستطيع أن تسدد نفقات المشفى لولادة ابنتها التي خرجت من دونها للأبد!

جزء ما بداخلي مازال حياً.. كنت أتقلب على فراشي ذات اليمين وذات الشمال دون أن يستطيع عقلي أن يخلد للنوم بسلام ليتركني أستريح من أعباء ذنبي العظيم، بحثت جاهدة عن الأم الحقيقية لابنتي المزعومة، لم أجدها مطلقاً، على الرغم من أنني لم أتوانى بالبحث عنها يوماً وكأن الأرض قد انشقت وابتلعتها!

لكن للقدر دائما كلمة أخرى حينما وجدتها بالصدفة، كنت أحفظ أوصافها واسمها وكل شيء يخصها عن ظهر قلب لأنني كنت أريد تعويضها بشكل غير مباشر، وجدتها تعمل كعاملة نظافة بإحدى المستشفيات وقد أكل وشرب الزمن على وجهها رغم مرور عشر سنوات فقط على تلك الحادثة، أخرجت صورتها من محفظتي بسرعة فقد كنت أجمع المعلومات وأتحرى عنها طيلة تلك السنوات المنصرمة، اهتز بدني وأنا أقارن بينها وبين الصورة، لابد أن أقطع الشك باليقين، اقتربت منها بحذر وناديتها:

-سيدة آسيا؟

نعم... نعم لقد كان اسمها آسيا كالبطلة البريئة في روايتي مع خورشيد لذا ففضلت أن يكون هو الاسم لتلك الشخصية التي عانت الأمرين في الرواية.. في حقيقة الأمر صاحبة الاسم الأصلية قد عانت أكثر بكثير حتى أنني لا أملك الأوراق ولا الأقلام الكافية لكي أدون معاناتها ومآسيها!

اقتربت منها وناديتها فالتفتت لي وتعجبت من معرفة أحد لها، أجابت بحذر وسألتني عما أريد وكيف عرفتها، أخبرتها أنني صحفية وأجمع المعلومات عن السيدات المعذبات في الأرض بل وأقدم لهن يد العون بأي مساعدة كانت.

انطلت تلك الحيلة عليها سريعاً، جلست بجواري على مقعد الانتظار بينما أنتظر للفحص الدوري كل عام لأطمئن على صحتي، بادرتها بالحديث:

-أول مرة لكِ هنا.. أنا دائماً ما أجئ إلى هنا ولكنها أول مرة يتسنى لي رؤيتك.

أجابت بحزن:
-نعم لم تتجاوز فترة تواجدي هنا الشهرين.

بصوت يغلفه الخجل طلبت منها أن تقص عليّ قصتها كاملة كي أقوم بتدوينها وتصعيد صوتها للمسئولين كي يوفروا لها معيشة كريمة.

ابتسامة جانبية متهكمة اعتلت جانب ثغرها لتقول بعد جملة لن أنساها ما حييت:

-أي معيشة كريمة! لم تعد الدنيا بمن عليها تعني لي شيئاً.. أنتظر لقائي برب العالمين لكي أخبره بكل شيء.

يا لها من جملة أصابت معدتي بالألم الشديد ، تأكدت من كونها زاهدة للحياة بشكل مرعب، لم تقبل أن أفتح لها جروحها، استأذَنَت مني بضعف شديد لكي تذهب لعملها، تركتها تذهب باستسلام مرير، لم تعد لديّ القدرة لمشاهدة وجهها المقيد بالخطأ على قيد الحياة!

عدت لمنزلي بعد أن قضيت يومي أبكي في حديقة المشفى في ركن جانبي لم يلاحظه أحد، كيف أصلح ما ارتكبت بحق تلك المرأة يا إلهي؟

عزمت أمري على جعلها تتحدث إليّ بأي طريقة وألا أتركها إلا عندما أعوضها مهما كلفني الأمر، في اليوم التالي ذهبت إلى عملها فأخبروني أنها مريضة ولم تكف عن البكاء بالأمس فطلبت منها رئيستها بالعمل أن تستريح بالمنزل حتى تهدأ وتستعيد عافيتها النفسية والبدنية.

أخذت منهم العنوان بلهفة شديدة وتوجهت إلى منزلها مسرعة، فتحت لي الباب وهي مريضة للغاية، تمزق قلبي على حالها.. أقسم لكم بأنني كنت أمتلك قلباً حينها ولم أكن أتصنع!

حاولت مساندتها للفراش، شكرتني بتهذيب بالغ، اعتذرت عن عدم استطاعتها تقديم شيء لضيافتي، اعتذرت لها عن كل شيء سبب لها متاعب بالحياة.

صدمتني بحديثها حينما أخبرتني بأنها تود الحديث لتفرغ ما في جعبتها من كلمات كالمنشار تمزقها إرباً من الداخل.

-سيدتي.. أود أن أتحدث.. أود أن أقص عليكِ ما عايشته من البداية.

بلهفة شديدة شجعتها على ذلك، نظرت إلى السقف بقهر ثم بدأت حديثها:

-تزوجت عبد العال وأنا ابنة الخامسة عشر.. فلاح بسيط ، محدود الدخل بل أقل بقليل، يعمل كناطور لإحدى البنايات هنا بالمدينة، رقصت من فرحتي حينما تقدم لخطبتي، سأذهب لأعيش في المدينة، سأرتدي من ثيابهم وأتناول طعامهم وأمشي في شوارعهم

samar ragab

وأستنشق هوائهم، كان ذلك أشبه بالحلم المستحيل لكن عبد العال حققه لي... ليته ما فعل!

مرت الأيام بعد زواجنا ولم تتعدى الشهرين لأكون حامل، فرحتي وفرحته لم يسعها الكون، لم يكن راتبه يكفي لتغطية نفقاتي العلاجية فتدهورت حالتي الصحية في الحمل حتى احتجت لتدخل جراحي من أجل الولادة القيصرية المستعجلة... تركني عبد العال وحدي أعاني بين الحياة والموت وذهب مسرعاً إلى القرية ليقنع والده ببيع نصيبه في الأرض الزراعية المشتركة بينه وبين أخوته، وافق على مضض بعد أن قلت حيلتهم جميعاً في تدبير ذلك المبلغ الكبير لتلك الجراحة الباهظة.

ليعود زوجي وتقع عيناه عليّ وأنا أصرخ مناديه على طفلتي التي لم أرها بعد، تسببت الحسرة في موته العاجل، توقف قلبه عن العمل إثر خسارة كل شيء في وقت واحد... فلذة كبده وأرضه الزراعية التي كانت بمثابة العار إن باعها مالكها في ذلك الوقت!

ألجمت الصدمات المتتالية لساني لفترة لا بأس بها، عدت إلى غرفتي في البناية، لم أكن أريد العودة لجحيم عمي وزوجته بعد أن تركني والديّ وأنا صغيرة يتيمة الأب والأم لأعاني الويلات مع عمي وزوجته الحرباء!

قررت أن أعمل في أي شيء حتى لو كان خدمة المنازل على أن أعود لتلك البلدة الظالم أهلها.

لقد سرقت مني الأيام طفولتي ورابطة شعري الصغيرة، سلبت مني حقي في أن أثور عندما تنكسر لعبتي المفضلة، تبدل احمرار وجنتيّ خجلاً بصبغة مصطنعة ليختفي بها آثار الشحوب والحزن الذي خطته السنوات على ملامحي، قلت ضحكاتي وخمد صوتها البريء، كثرت نوبات بكائي وارتفع صوت النحيب، لم تكن الحياة يوماً ملجأً لأمثالي ممن يتلحفون بالطفولة مهما ركض بهم عداد السنوات!

أصبحت مطمع لكل غادر وخائن سولت له نفسه احتلال جسدي دون أن يرحم ضعفي وقلة حيلتي، كنت دائماً ما أترك عملي بسبب هؤلاء.. شريدة قليلة الحيلة والمال، لا سكن لها ولا مأوى؛ هكذا كنت أنا!

استمر الحال هكذا ما يقارب من الأربع سنوات، حتى تلطف الله بي وأرسل لي زوجاً يخاف الله فيّ، لكن الدنيا لا تضحك لأحد؛ تزوجته قرابة العامين فقط لأكتشف بعد ذلك بأنني أصبت بورم خبيث في الرحم من تبعات الحزن وعدم الاهتمام بتبعات ولادتي والنزيف الذي لم يكن يفارقني، اضطررت لاستئصال الرحم لأصبح عاقراً... بارت أرضها!

لم تشفق عليّ والدة محروس زوجي الثاني؛ تعاهدت مع الأيام ضدي وأذاقتني الويلات كل لحظة ولأن قوة تحملي فاقت استيعابها قررت أن تكشف أوراقها وتطلب من محروس أن يتزوج بأخرى وإلاّ غضبت عليه ولعنته مدى الحياة!

محروس كان مطيعاً باراً بها لأقصي الحدود، لم يكن يكف عن البكاء وهو رجل شديد القوة والرجولة يقع باكياً كل ليلة من شدة حبه لها ولي وكيف يختار بيننا؛ الآن أعرف جيداً لماذا يتعوذون بالله من قهر الرجال!

في النهاية.. انتصرت والدته التي لم تقبل تواجدي معه أبداً على الرغم من قبولي لأن يتزوج عليّ، كنت أقبل القليل منه حتى القليل إن انعدم كان يكفيني النظر إلى وجهه كل صباح، سماع صوته وهو يناديني بحب، الأمان والستر الذي كنت أشعر بهما بجواره!

وجدت نفسي مرة أخرى في أحضان الرصيف، أبت نفسي أن تتسول إلى الخلائق، فضلت العمل ذو العائد الزهيد جداً على أن أكون متسولة على صحتها أو جسدها!

كلما دخلت منزل أحد لأعمل به كخادمة، تستشيط مالكته من فرط غيرتها من نظرات زوجها نحوي، كأن الجمال هو نقمتي بالحياة.. لكنني لم أكن أملك سواه، تلاعب الشيطان بعقلي كثيراً أعترف بذلك لكني كنت وما زلت أقوى منه، لاحقتني المصائب

والخيبات وأتذكر جيداً كيف افترت عليّ تلك السيدة عندما سمعت زوجها يتغزل بي رغم رفضي التام له بل وتهديدي بأنني سأخبرها كل شيء، استمعت لحديثي وحديثه، لكن أسهل طريق للانتقام هو الانتقام من الطرف الضعيف، لأكون بعد ليلة وضحاها بين جدران السجن بسبب السرقة.. أشهد الله أنني لم تمتد يدي لقرش حرام ولم يدخل جوفي لقمة مشبوهة.

لكنها استطاعت أن تجعلني حبيسة لثلاث سنوات، كلما انتهت عقوبتي، تتجدد تلقائياً... زارتني بعد مضي السنوات الثلاث.. أزحت بوجهي عنها، ترقرقت العبرات بمقلتيّ، حزنت على نفسي المعذبة المظلومة كثيراً، هبطت لتقبل قدمي في ذل رهيب، ارتفع صوت نحيبها وهي تطلب مني السماح بإصرار غريب لم يكن مفهوم بالنسبة لي، أخبرتني أن ابنها قد سجن على قيد قضية قتل ارتكبها صديقه والصقها به في خارج البلاد، تذكرتني حينما كان يصرخ ولدها مستغيثاً بأنه مظلوم كما كنت استغيث أنا، كلما نظرت إلى وجهه خلف القضبان وهو يستغيث صارخاً تجسدت أمامها وكأنني أنا من تصرخ.. تكرر الأمر معها حتى باتت تحلم به، جاءتني ركضاً، تجاهلتها عمداً.. لم أقبل أن أسامحها أبداً، استعانت بنفوذها لتخرجني من غياهب الجب، اشترت لي شقة وسيارة، كانت تلقي النقود تحت قدمي، رفضت كل شيء قدمته لي، أخبرتني أنها تعلم بأنني أمتلك قلباً رقيق واخرجت هاتفها من حقيبتها، جعلتني أشاهد ابنها وهو يتألم مثلما تألمت، يصرخ مثلما صرخت، ينتفض من الخوف مثلما فعلت!

لم أستطع أن أنام ليلتي.. إلاّ وكنت ذاهبة إليها مسرعة، روحت أضرب على باب المنزل بقوة واهنة، خرجت لي والبكاء يزين خديها، هبطت لتقبل قدمي بتذلل شاهدته منها كثيراً آنذاك، شكرتني كثيراً عندما أخبرتها أنني سامحت عنها وتجاوزت عن ظلمها لي بل وأدعو الله ليعود ولدها سالماً إلى دياره.

بعد فترة قليلة علمت منها أن براءته قد ظهرت وعاد إليها ليطفئ نار خوفها وشوقها إليه.

لم أقبل منها قرشاً واحداً، اختفيت عن أنظارها وسافرت إلى محافظة أخرى لتنسى أمري ثم عدت بعد فترة وعلمت أنها تبحث عني باستمرار، لقد سامحتها لكنني لم أنسى... تلك باختصار هي قصة العشر سنوات العجاف التي أكلت الأخضر واليابس داخلي وخارجي..

انتهت آسيا من الحديث وراحت تسعل بقوة وضعف في آنٍ واحد، ظننت أنها في سكرات الموت!

ارتبكت وارتعدت أوصالي، صرخت بهيستريا وأتوسل إليها أن تنتظر قليلاً لأنني أود أن أخبرها بشيء هام للغاية، أغشي عليها، ظللت أذهب يميناً ويساراً بارتباك لا أعلم ما الذي يتطلب مني فعله في هذا الموقف، ركضت نحو زجاجة الماء الموضوعة بجانبها، وضعت يدي المبتلة برفق على وجهها دون جدوى، تذكرت أنه ينبغي عليّ أن أجعلها تشم رائحة شيء قوي ففتحت حقيبتي وأخرجت العطر الخاص بي، نجحت تلك الحيلة فقد استيقظت من فورها عندما تضايق أنفها من الرائحة النفاذة للعطر، جلست بجوارها حتى طمأنتني على حالها، طلبت مني أن أتركها لتنام قليلاً، كنت أرتعد خوفاً من احتمالية تركي لها لأعود مرة أخرى وأجدها جثة هامدة!

كنت أمتلك غباء عاطفي شديد، فكيف يتم تعويض المرء عن "ضناه"!

كيف لي أن أعرف ذلك وأنا التي حُرِمت من ذلك الشعور بالأساس، جلست بجوارها وهي نائمة.. قصصت كل شيء حدث بالماضي عليها وأنا مطمئنة كونها نائمة، انتهيت من حديثي بجملة واحدة:

-لا أعلم كيف ستواتيني القدرة على اخبارك بذلك وأنتِ مستيقظة؟ لكن لابد أن ذلك النهار.. لابد وأن أعوضك بشكل أو بآخر.

فتحت عيناها الأشبه بياضها بلون الطماطم المليئة بالدموع والحزن، أرادت أن تتحدث لكن صوتها خانها وأبى أن يخرج من حنجرتها، دق قلبي بعنف هادر وأنا أشاهدها وقد علمت أنها قد سمعت حديثي..

شرعت في التحدث الغير منتظم، مبررة تارة ومعتذرة تارة أخرى، خانتني قدرتي على التحدث بطلاقة فأصبحت أمامها كفأر صغير مبتل من عرقه الكثيف وهو يركض بلا توقف داخل مصيدته!

كصيف أفريقيا كان غضبها، حيث كانت تشتعل كحر جهنم، نهضت تلك العليلة التي تضاعفت صحتها حتى أصبحت أقوى مني لتمسك بتلابيبي، ارتجفت قدمي ويدي، لم أقوي على مواجهتها، خنقتني بيديها، شعرت أنني أحتضر وأنها ستفتك بي بشكل مؤكد!

استجمعت قوتي ودفعتها بعيداً عني، فسقطت بقوة بعد أن اصطدم رأسها بالجدار، كانت تنزف بغزارة لكنها مازالت تأن فتأكدت أنها لم تمت بعد، توقف عقلي عن العمل بتلك اللحظة، آخر ما كنت أرغب به هو مد يد العون لها، حياتها تعني موتي بكل تأكيد!

لم أشعر بنفسي إلاّ وأنا أخرج من منزلها لاهثة، ما أشعرني بالطمأنينة أنها لا تعرف هويتي أو حتى اسمي حتى الآن، قررت ألا أعود إليها مهما حدث، بعد مرور عشر أيام تقريباً، تساءلت من بعيد عنها وعلمت أنهم وجودها ميتة داخل غرفتها الصغيرة بعدما خرجت رائحة جثتها ، وقيدت قضيتها ضد مجهول!

تلك الحادثة جعلتني جثة على قيد الأحياء، حاول جلال أن يخرجني من تلك الحالة التي لا يعلم سببها، أخبرني أنه يحب تلك النصوص التي أدونها على ورق من حينة لأخرى وحثني على الكتابة علها تخرجني من عالمي الكئيب لعالم آخر يبعث النشاط والحماس لحياتي!

كتبت بعض الأشياء.. كنت أجعله أول القارئين وآخرهم!

كان يشجعني كثيراً لكني لم أكن أعلم أنه يجاملني لا أكثر إلاّ عندما تقدمت لتلك المسابقة التي أقامها الكاتب الشهير "رابح خورشيد"

من هنا بدأت قصتي معه... قصة أعدد كل خيوطها بالورقة والقلم... اكتشفت أن كتابة القصص المرعبة أو قصص الجرائم لا تحتاج إلى كاتب متميز وإنما تحتاج لعقل ذكي وكنت كذلك!

رسائل ليلى

أمي.. أيتها الحبيبة الظالمة، أيتها البريئة المجرمة، لقد اشتقت إليكِ كثيراً.. ضحكتك الرنانة وغنجك حين تتحدثين، رقتكِ حين تخجلين، قلبك الأبيض كالحليب، حبكِ العظيم لي... كيف تكون تلك الصفات خاطئة كاذبة كيف؟

أمي.. أنا أشعر بأنني هشة مثل ريشة رقيقة بعثرتها رياح ظالمة!

مددت يدي لألتقط ألبوم الصور الذي يضم كل لحظات طفولتي وشقاوتي الجميلة بقربك.

ألبوم صور قديم جداً للبيع، هنا ضحكة وهنا رقصة، هنا احتفال وهناك فراق، والثمن تافه للغاية... سنوات عمري الماضية والقادمة فقط!

هل من مشتري؟

فتحت أول صفحاته لأرى صورة تجمعني بكِ في حديقة منزلنا السابق، الصغير، الدافئ، كم كنت طفلة محظوظة ومدللة!

أتمنى رؤيتك وأخذك بين ذراعي لتستقر رأسك على صدري وأخفف عنك ثقل ذنبك، أخبرك بأنني ما زلت حبيبتك وما زلتِ حبيبتي!

لا أستطيع أن أنظر داخل عينيكِ، أنا متأكدة بأنني سأشعر بالغربة والحنين معاً، أشتاق إليكِ حد الموت.. أكرهكِ حد الحياة!

samar nagy

أمي... أليس من حقي الآن أن أدعوكِ بتلك الكلمة التي شوهتِها بيديكِ، كم من الصعب أن أكتشف كل تلك الحقائق بليلة واحدة!

رغم الشر والسواد القاتم داخل قلبك وأفعالك المظلمة، ما زال هناك جزء داخلي يقول لي إنها "ماما" مهما فعلت أو ستفعل لأكتشف في النهاية أن ذلك الجزء أيضاً مظلم سوداوي وكذبة كبيرة!

أيتها المرأة الظالمة... لن أسامحك أبداً، سأقتص منكِ هناك أمام الله وسأخبره بكل شيء مثلما ستفعل أمي الحقيقية أيتها المزيفة!

"من قلب مزقه ظلمك"
"إلى قلب لا يشعر بأنه ظالم"

*** * * * ***

لقد تمزقت أحشائي ونهشت الصدمة كبدي.. أمي وحبيبي في نفس الليلة!

لقد خسرت كلاهما دون سبيل للرجوع، لقد كان الأمر غاية في البشاعة.

آخ يا حبيبي رياض لقد طعنتني بنصل سكين بارد، طعنتني به أمي قبلك..

كنت أجلس وحيدة تماماً قبل أن أراك تمر من أمامي بوسامتك وحضورك الطاغي، أعترف بأن الحرب اشتعلت بقلبي وكانت محسومة لصالحك من أول نظرة ليريد القدر أن يجمعنا داخل قاعة محاضرات واحدة، أنا الطالبة المشاغبة وأنت المحاضر الوسيم، هادئ

samar ragab

الطباع، حازم التصرف، مهلاً هل قلت القدر! معذرة لم يتهيأ عقلي بعد لتلك الألاعيب مثلك.. إنه أنت يا عزيزي من دبر لكل شيء حتى توقعني في فخك اللعين!

كانت الدنيا تضحك لي بمجرد ابتسامتك بوجهي، كانت تعبس معطية ظهرها لي بقسوة إذا رأيتك حزيناً، لم نتشارك شيء سوى رؤيتنا لبعضنا البعض على أننا هدف!

نعم هدف، كان هدفي كان بسيطاً على قدر براءتي، كنت أريد منك كلمة أو ابتسامة.. على النقيض تماماً كان هدفك الشرير بأن توقعني في شباكك غير عابئ لقلبي الذي سيتحطم عند معرفتي بالحقيقة مُرة المذاق، ألم تشعر بقربي وحبي ولو لمرة واحدة؟ ألم تفكر بالتراجع لأجلي؟

لا أستطيع أن ألومك على أي شيء.. فربما لو كنت محلك لاقتلعت قلب من قتل وعذب أقرب الناس لي بقسوة لا مثيل لها.. لكن ما ذنبي أنا، أنا هنا أحترق هل تعلم بذلك؟

عندما كنت تعطيني الورود زهرية اللون كل يوم بحب بالغ هل كان ذلك ضمن مخططك أم كرم أخلاق منك!

حينما كنت ترسل لي أرق العبارات مرفقة بباقة الزهور، هل كانت تلك العبارات نابعة من قلبك أم كرم أخلاق منك!

أي كرم هذا الذي دمرني وسلب مني كل شيء أمتلكه في ليلة واحدة غابرة!

samar ragab

لن أسامحك أنت الآخر.. دمرتني، وقذفتني بحجارة من سجيل، وكأنني أنا من أذتك مسبقاً... هناك حيث تلامس النجوم السماء ستحلق روحي مبتعدة عن أذاكم أنتم البشر عديمي الرحمة!

كلاكما.. أنت وتلك التي ادعت أنها أمي؛ تشبهان بعضكما البعض أكرهكما بنفس المقدار..

لن أسامحك، ستلاحقك أحزاني لتكون حول عنقك كشعلة من نار!

"من قلب أحب كثيراً"
"إلى قلب لم يعرف الحب يوماً"

وضعت ليلي الرسالتين كل واحدة في مظروفها الخاص، لتصل كل رسالة إلى هدفها وعنوانها، أخرجت السُم الذي اشترته مسبقاً، تناولته ودموعها تنساب على وجنتيها بحزن كبير.. نامت على سريرها حيث كانت كالأميرة النائمة.. جميلة وميتة!

"تمت بحمد الله"

samar ragab

samar ragab